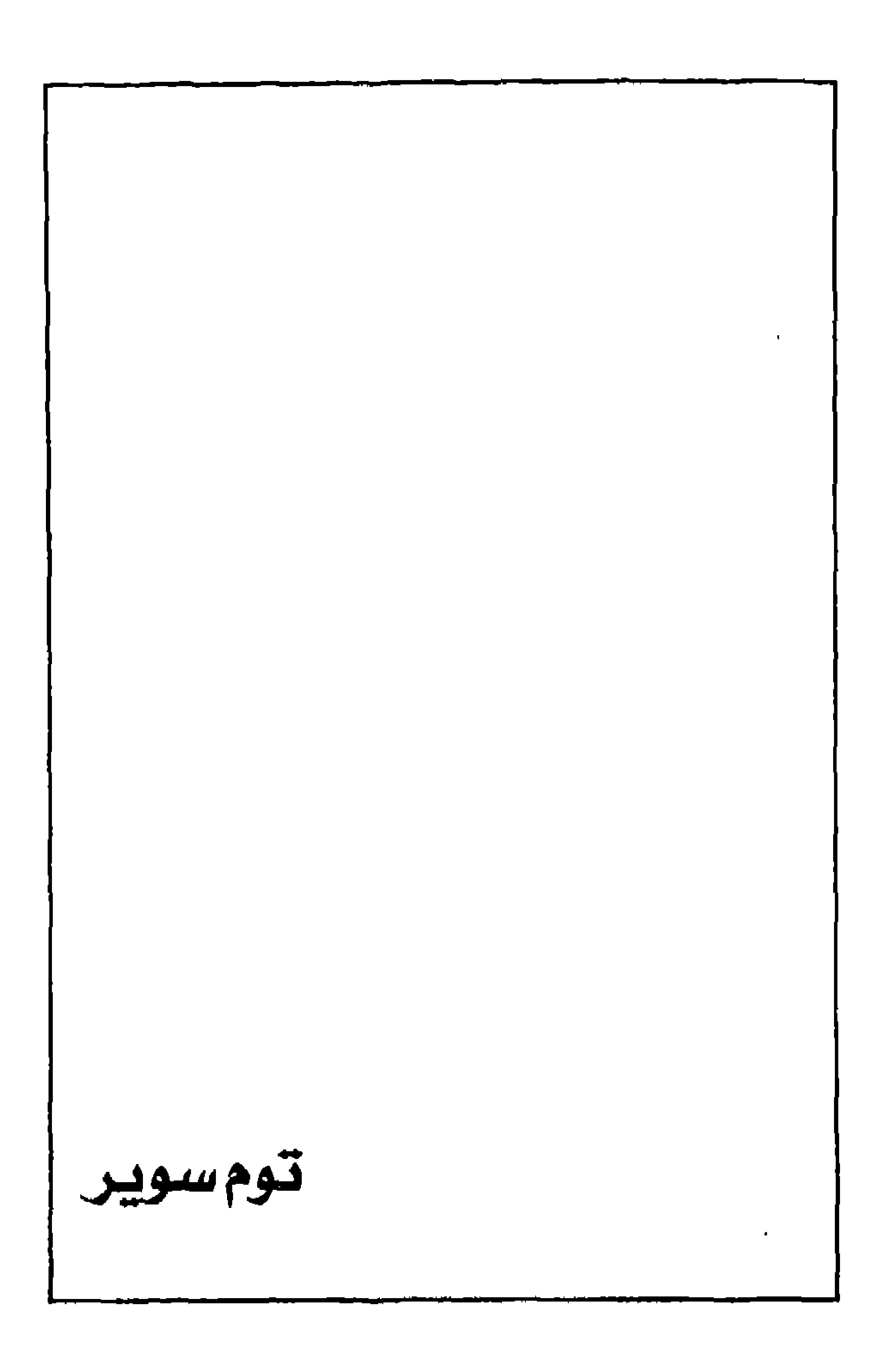

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨
مكتبة الأسرة
الأدب العالمى للناشئين
مغامرات توم سوير
تأليف: مارك توين
الهيئة المصرية العامة للكتاب



توم سوير

توم سوير

تأليف: مارك توين

ترجمة: مختار السويفى

مراجعة: محمد العزب موسى



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

توم سوير

تاليف: مارك توين

ترجمة: مختار السويفى

مراجعة: محمد العزب

الغلاف: للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافه

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مقدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل.
ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

المؤلف

يعتبر مارك توين من أشهر الأدباء العظام المعروفين فى جميع انحاء العالم • وتعتبر كتاباته الساخرة من أخف الآثار الأدبية دما وأكثرها طرافة • كما تتضمن فى الوقت نفسه نقدا لاذعا يتناول جميع مثالب الحياة الانسانية فى النـــواحى الاجتمــــاعية والاقتصــادية والسياسية •

وسخر مارك توين قلمه فى انتقاد الظلم السياسى أو الاجتماعى •• فسخر بالاستعمار العالمى الذى كان يمتص دماء الشعوب [الافريقية على وجـــه خــاص] المغلوبة على أمرها • كما حارب بكل قوة تجارة العبيد التى كانت منتشرة فى أيامه •

ولد مارك توين سنة ١٨٣٥ [واسمه الحقيقى صمويل لانجهورن كليمنس] فى مدينة صغيرة بولاية ميسورى التى تقع على نهر المسيسبى ٠

وعلى هذا فان اسم « مــــارك توين » هو اسم مستعار ، ومعناه الحرفى « العلامة الثانية » باللهجـة الشعبية التى كان يستخدمها بحـارة الســـفن الذين يعملون فى نهر المسيسبى ٠ وقد بدأ استخدام هـــذا الاسم المستعار فى بداية عمله بالكتابة الصحفية ، ثم استخدمه أيضا فى جميع قصصه القصـــيرة ورواياتـه ومحاضراته وكتبه الأدبية الأخرى ٠

ويعتبر مارك توين نموذجا فريدا فى اثبات قدرة الانسان على تحقيق الطموح ورفعة الشأن ، مهما واجهته من صعاب ومتاعب ومعوقات ٠٠

فقد عاش فى طفولته حياة فقيرة الى حد البـؤس ٠٠ واضطر الى الانقطاع عن الدراسة والتحاق بمختلف انواع الأعمال الشاقة ، حتى يتكسب شيئا يقيم أوده

ويساعد به أسرته .. فاشتغل : بائعا للصحف ، وكاتبا في محل بقال ، وصبيا لحداد ، وخادما في صيدلية ، وصبيا في مطبعة ، وعاملا في جمع الحروف .. ثم بحارا على احدى السفن العاملة في نهر المسيسبي .. ثم عاملا في المناجم .. ثم انتهى به الأمر أخيرا ليصبح صحفيا وأديبا من أعظم الأدباء الخالدين الذين ظهروا في أمريكا .

وتعتبر رواية « مغامرات توم سوير » التي كتبها سنة ١٨٧٦ ، ورواية « مغامرات هكلبري فين » التي كتبها سنة ١٨٨٤ من أروع وأعظم أعماله الأدبية .. وفي كل من هاتين الروايتين سجل مارك توين ذكريات طفولته والحياة الشقية التي عاناها ..

وبالرغم من مرور أكثر من مائة سنة على ظهورهما ، فمازالت هاتان الروايتان تعتبران من أشهر الروايات الأدبية التي انتشرت في جميع انحاء العالم ، وترجمتا الى أكثر من ثلاثين لغة ، وطبعتا عشرات المرات ، ومازالتا حتى الآن محل اقبال القراء من مختلف

شعوب الأرض ، يقبل عليها الناس للتمتع بكل ما فيهما من خيال خصب ، ونقد ساخر ، ومواقف مضحكة ، وحكمة وفلسفة ، ومشاعر انسانية ٠

وقد اشتهر مارك توين أثناء حياته في أمريكا وأوربا واستراليا ٠٠ وأقبلت شعوب كثيرة على الاستمتاع بقصصه القصيرة ورواياته ومحاضراته التي كان يلقيها بنفسه ، ويتزاحم عليها الناس للاستماع اليه والاستمتاع بخفة ظله وتعليقاته الساخرة ٠

وبدأت شهرته الواسعة بمجرد نشره لقصة اسمها « الضفدع القافز الشهير من مقاطعة كلافراس » التي كتبها سنة ١٨٦٥ ٠٠ والتي أقبل الناس على قراءتها بشغف كبير منحه الشهرة في طول أمريكا وعرضها ٠

وفي سنة ١٨٨٠ كتب رواية شهيرة أخرى اسمها « الأمير والفقير » ٠٠ ثم كتب رواية « أمريكي من كونكتيكت في بلاط الملك آرثر » في سنة ١٨٨٩ ٠٠ ثم كتب « الرجل الذي أفسد هيدلبرج » في سنة

١٨٩٩ ٠٠ و « من هو الانسان » فى سنة ١٩٠٦ ٠٠٠
هذا بالاضافة الى العشرات من القصص القصيرة والمقالات
الفكاهية الممتعة ٠

كما كتب مارك توين الكثير من كتب الرحلات ،
لعل أشهرها كتاب « الابرياء فى الخارج » [سنة
١٨٦٩] وكان يعتبر من أوسع الكتب نجاحا وانتشارا
فى عصره ٠٠ وكتاب « متسول فى الخارج » [سنة
١٨٧٩] ٠٠ وكتاب « الحياة فى نهر المسيسبى » [سنة
١٨٨٣] ٠

وقد تعرض الأديب مارك توين الى الكثير من المحن
والنكبات المالية والأحزان النفسية أثناء حياته ٠٠ لدرجة
انه فقد ثروته كلها وأصبح معدما تماما بل ومدينا
بمبالغ طائلة فى سنة ١٨٩٢ ، بسبب انفاقه أمواله فى
تشجيع وكشف الاختراعات الحديثة فى فن الطباعة ،
وبسبب المضاربات المالية الفاشلة التى قامت بها احدى
دور النشر التى كان شريكا فى ملكيتها ٠٠

وظل مارك توين يكافح بهمة شديدة حتى تمكن من تسديد ديونه الطائلة وعاود النجاح من جديد ..

وعاش السنوات الأخيرة من حياته فى حزن دائم بعد موت زوجته وبناته واحدة بعد أخرى ..

وفى ٢٠ ابريل سنة ١٩١٠ مات هـــذا الأديب الساخر العظيم .. الذى حقق شهـــرة عالميـــة للأدب الأمريكى .. وبالرغم من مرور عشرات الســـنين على وفاته ، فمازال القراء ومحبو الأدب يقبلون على قراءة الأعمال الأدبية الخالدة ، التى كتبها أثناء حياته المرحة المحزنة ..

« المترجم »

الفصل الأول

متاعب دائمة ..

صاحت الخالة العجوز :

ـ توم ! .. توم ! .. ولد يا توم .. !

ولكنها لم تسمع أية استجابة لنداءاتها المتكررة ..
فأخذت تحدث نفسها بصوت هامس :

ـ ترى أين هذا الولد الآن ؟ .. آه لو أمسكت به ! .. سوف ..

وتوقفت الخالة عن حديثها الهامس لحظة ، عندما قفزت القطة من تحت السرير وانطلقت تجرى فى الحجرة .

ولكن الخالة عادت الى حديثها الهامس :

ـ لم أعرف فى حياتى ولدا شقيا مثله ٠٠ !!

وفتحت الخالة باب البيت ٠

وأخذت تنادى مرة أخرى :

ـ توم ٠٠ توم ٠٠ ولد يا توم !

وتوقفت عن النداء عندما تطرق الى سمعها صوت جلبة و « كركبة » ٠٠ والتفتت خلفها فجأة ، فشاهدت توم وهو يحاول الهروب الى الخارج ٠

وصاحت الخالة :

ـ ماذا كنت تفعل قرب دولاب المطبخ ٠٠ ؟

ـ لا شىء يا خالتى ٠٠ لا شىء !

ـ لا شىء ؟ ٠٠ انظر الى يدك ٠٠ انظر الى فمك ٠٠ لا بد أنك سرقت شيئا ٠٠ وأكلته ٠٠ لقد حذرتك من العبث فى هذا الدولاب أكثر من أربعين مرة ٠٠ اعطنى هذه العصا ٠٠ !!



انظرى خلفك يا خالتى !

وامسكت بالعصا ، ورفعتها وأوشكت أن تهوى بها على توم الذى تيقن أن الخطر أصبح يحيط به ، ورأى أن عليه أن يفكر بسرعة فصاح محذرا خالته :

ــ أوه ٠٠ انظرى خلفك يا خالتى !

وعلى لفور التفتت الخالة العجوز خلفها ، وفى نفس اللحظة انطلق توم بأقصى سرعة ، وتسلق السور وقفز من فوقه ٠٠ أما الخالة فقد دهشت لتلك الحيلة لحظة ، ثم أخذت تضحك وهى تحدث نفسها من جديد :

ــ يا له من ولد ذكى ! ٠٠ أنا لا أحب أن أعاقبه أو أضربه ٠٠ أنه ابن اختى المرحومة ! ٠٠ ولكن لا بد أن أضربه حتى يصبح رجلا صالحا ٠٠ انه الآن ولد سىء ٠٠ وربما سيهرب من المدرسة بعد الظهر ٠٠ اذا لم يذهب الى المدرسة فسوف أعاقبه ٠٠ نعم سأعاقبه بأن أجبره على العمل فى صباح اليوم التالى !

وبالفعل لم يذهب توم الى المدرسة ، وتمتع باللهو فى فترة الظهيرة وبعد العصر ، وعاد متأخرا الى

البيت . وعندئذ شاهد الخادم الصغير جيم وهو يقطع الخشب لاعداده للمدفأة ، فقام تـوم بمساعـدته .. وبطبيعة الحال فان جيم قد قام بمعظم العمل ، أما توم فقد كان يقطع الخشب بتؤدة وبلطف ، ويقوم في الوقت نفسه بقص حكاياته ومغامراته على جيم ، الى أن انتهيا من هذا العمل .

وكان لتوم أخ أصغر منه ، اسمه سيدني .. وهو ولد هادىء لطيف لا يحب المغامرات .. وقد انتهى لتوه من عمل واجباته .

وجلس الجميع الى مائدة الطعام لتناول العشاء .. وكان توم يسرق السكر كلما استطاع الوصول اليه .. ولم تلحظه الخالة أبدا وهو يقوم بذلك .. وبدأت الخالة تسأل توم سئلة عديدة .. كانت تظنها اسئلة ذكية .. ولكن توم ادرك خطة الخالة على الفور واستعـد للاجابة .

ـ هـاه .. هـل كان الجـو حـارا فى المدرسة يا توم .. ؟!

ـ نعم يا خالتى !

ـ كان حارا جدا ·· أليس كذلك ؟!

ـ نعم ··

ـ ألم تفكر فى السباحة اذن ؟!

ـ لا ·· لم أفكر فيها كثيرا !

وهنا تقدمت الخالة الى توم وأخذت تفحص ياقة قميصه ·· وكانت الخالة قد خاطت طرفى الياقة فى بعضهما حتى تعرف ان كان توم قد خلع قميصه أم لا ·· انه لا يستطيع أن يسبح الا بعد خلع القميص ·· وفحصت الخالة قميص توم فوجدته جافا لم يبلل ، وفحصت طرفى الياقة فوجدتهما مقفولين بالخيط ·· فاطمأنت الخالة ·

وقالت لتوم :

ـ لقد ظننت انك ذهبت الى السباحة ·· ولكنك ولد طيب ·· لقد عفوت عنك !

وهنا قال سيدني :

ـ ولكنك يا خالتي استعملت في خياطة الياقة خيطا أبيض ٠٠ وهو الآن خيط أسود ٠٠ انظري بنفسك !

وعلى الفور قفز توم هاربا الى الخارج ، وهو يصيح مهددا سيدني :

ـ سوف أضربك على ذلك يا سيدني !

وعندما أصبح توم خارج البيت ، ظل غاضبا من أخيه سيدني الذي نبه الخالة الى سر الحيلة ٠٠ وقال توم لنفسه :

ـ انها تستعمل أحيانا خيطا أبيض ٠٠ وفي أحيان أخرى تستعمل خيطا أسود ٠٠ فكيف لي أن أتذكر لون الخيط في كل مرة ٠٠ ؟!

وسرعان ما نسي توم غضبه ٠٠ عندما شاهد ولدا غريبا لم يره من قبل ٠٠ كان أكبر من توم عمرا وأضخم منه جسما ، كما كان يرتدي ملابس نظيفة ويلبس في

قدميه حذاء ٠٠ وكان توم لا يلبس الحذاء الا فى أيام الآحاد ٠٠ ولم يكن اليوم يوم أحد ٠٠ لهذا لم يسترح نوم الى هذا الولد الغريب ولا الى ملابسه الأنيقة ٠٠

فقال له على الفور :

ـ استطيع أن ألقى بك الى الأرض !

ـ حاول ٠٠ ان كنت تستطيع ٠٠

ـ استطيع أن أفعل ذلك بسهولة !

ـ لا ٠٠ انك لا تستطيع ٠٠

ـ بل ٠٠ استطيع ٠٠

ـ لا تستطيع ٠٠

وتوقف هذا لنقاش الحاد لحظة ٠

ثم عاد توم الى نقاش آخر :

ـ ما اسمك ٠٠ ؟!

ـ لن أخبرك !

فأعلن توم بقوة :

ـ يمكننى أن أضربك والقى بك الى الارض بيد واحدة ٠٠ ويدى الأخرى خلف ظهرى !!

ـ ولماذا لا تحاول ذلك ٠٠ أرنى !

ـ سأخبط رأسك بطوبة !

ـ أوه ٠٠ لا ٠٠٠ انك لا تقدر على فعل ذلك ٠٠ انت تتكلم فقط ولا تفعل شيئا ٠٠ انت خائف !

ـ **أنا لا أخاف ٠**

ـ بل نت خائف فعلا !

وأخذ كل من توم والولد الغريب ينظر الى الآخر فى غضب ٠ وتحرك كل منهما نحو الآخر حتى تلامست أكتافهما ٠

وهنا قال توم :

ـ هيا اذهب من هنا ٠٠ واذا لم تذهب فسوف أضربك !

ولكن الولد الغريب لم يتحرك ٠٠ بل وبدأت عملية « الزق » ٠٠ وأخذ كل منهما يزق الآخر بكل قوة ٠ واستمر الزق لفترة طويلة ثم توقفا للاستراحة ٠ وبعد قليل رسم توم بقدمه خطا على التراب **وقال مهددا :**

ـ أنت لن تجسر على التقـدم بعد هذا الخط واذا فعلت ذلك فسوف اضربك !

وفى لمح البصر قفز الغـلام الغـريب فوق الخط وتجاوزه ٠ وعلى الفور بدأت معركة حامية بين العدوين ٠ وكانت ساحة المعركة فوق أرض متربة قذرة ٠٠ واشتد العراك بينهما فأخذا يتمرغان مشـتبكين فى التراب ٠ وسال الدم من أنف كل منهما واختلط بالتراب ٠ وما هى الا لحظات حتى أصبح كل منهما فى منتهى القذارة ، وأصبحت ملابسهما فى حالة بائسة ٠ وفى النهاية تمكن توم من الجلوس فوق جسم غريمه الممدد على الأرض ٠

وصاح فيه معلنا نصره :

ـ هاه ٠٠ هل يكفيك هذا الضرب ؟!

ومع ذلك فقد حاول الولد الغريب أن « يفلفص » من تلك الزنقة ، فوجه اليه توم مزيدا من اللكمات ٠ واضطر الولـد أن يعلن هزيمته قائـلا : كفى ! ٠٠ وعندئذ قام توم من فوقه ونهض واقفا ٠٠ وأخذ الولد الغريب « ينفض » ملابسه مما علق بهـا من تراب

وقذارة ، وهو ينظر الى توم نظرات غاضبة ٠٠ ولـكن توم أخذ يضحك مزهوا ٠٠ فالتقط الولد طوبة من الأرض وقذفها على توم ، وعلى الفور انطلق يجرى هاربا وانطلق توم وراءه • وظل الولد يجرى بسرعة حـتى وصل الى بيته فدخله واختفى • وظـل تـوم منتظرا بالخارج لعل الولد يخرج مرة أخرى ٠٠ ولكن على حين فجأة ظهرت أم العدو ٠٠ وقالت ان توم ولد سيء ٠٠ وعندئذ اضطر توم الى الانسحاب ببطء ٠٠

وعندما وصل الى البيت ، كانت خالته فى انتظاره واستقبلته غاضبة • وازداد غضبها أكثر وأكثر حين رأت ملابسه وقد أصبحت قذرة ، لذلك فقد **صاحت فيه قائلة :**

ـ سأعاقبك على ذلك ٠٠ وسوف اجبرك عـلى القيام ببعض الأعمال غدا ٠٠ !

الفصل الثانى

توم يدهش الخالة بوللى

كان الجو صحوا فى صباح يوم السبت .. وكانت الدنيا تبدو ملآنة بالسعادة .. وكانت الأشجار والزهور تبدو فى منتهى الجمال فى ذلك الصباح .

وكان توم قد رتب من قبل أن يذهب فى ذلك الصباح الى تل كارديف الذى يقع خلف القرية . ولكن الحال قد تغير . فقد خرج من البيت حزينا ، يحمل فى يده فرشاة للطلاء ، ويحمل فى يده الأخرى دلوا مملوءا بالطلاء الأبيض . وكان عليه أن يقوم بطلاء سور البيت كله كعقاب فرضته عليه خالته .

ونظر توم بحزن الى سور البيت الذى يبلغ نحـو ثلاثين ياردة طولا وتسعة أقدام ارتفاعا ٠٠ وكم أصبحت الحياة تبدو حزينة فى وجه توم ٠٠ !

غمس توم الفرشاة بداخل الدلو ٠٠ ثم حركهـا على خشب السور ، فصنعت علامة صغيرة بيضاء ٠ وهنا شاهد توم الخادم جيم وهو يحمل دلوا فى يده ليملأه من طلمبة المياه ٠٠ وكان يعـرف أن هنـاك العـديد من الأولاد يذهبون الى الطلمبة ، ويستطيع جيم ان يتحدث معهم ٠٠ أما هنا عند السور ، فلا يأتى أحد ، وبالتالى فلن يستطيع توم أن يتحدث الى أحد ٠

ونادي توم :

ـ جيم ! ٠٠ تعال يا جيم ٠٠ أنا مستعـد أن أذهب الى الطلمبة لأملأ الدلو بالنيابة عنك بشرط أن تساعدنى فى طلاء السور !

فقال جيم :

ـ لا ٠٠ فالسيدة لم تكلفنى بدهـان السور ، وكلفتنى بأن أملأ الدلو بالمياه ٠٠



وامسك توم بالبلية فى يده ..

فصاح توم :

ـ لا عليك ٠٠ انها تقول دائما كلاما مثل ذلك ٠٠ اعطنى الدلو ودعنى املأه لك بالمياه ٠٠ وسوف اعطيك « بلية » يا جيم !

ففغر جيم فاه ، وكان يحب « البلى » كثيرا ٠

فقال بعد أن فترت مقاومته :

ـ بلية !! ٠٠ ولكننى أخاف من السيدة ٠٠ !

وهنا وضع توم يده فى جيبه وأخرج بلية حملها بين أصابعه ، فوضع جيم الدلو على الأرض ، وأخذ يحملق بشغف في البلية التى يغريه بها توم ٠٠ ولكنه لم يتنبه آنئذ الى أن الخالة بوللى كانت تقف خلفه ، وسرعان ما خلعت حذاءها ، وأخذت تضربه ٠ فأخذ جيم دلوه وانطلق يجرى نحو الطلمبة ، أما توم فقد إنهمك على الفور فى طلاء السور ٠ ومع ذلك فقد هددته خالته بالضرب بالحذاء اذا لم ينصرف الى عمله ٠

وما أن اختفت الخالة بوللى داخل البيت ، حتى

توقف توم عن الطلاء ٠ وألقى بالفرشاة ، وأخذ يخرج كل ما فى جيوبه من مقتنيات ٠٠ كان لديه مجموعة من البلى ٠٠ وبعض قطع الدوبار ٠٠ وأجـــزاء من لعب قديمة ٠٠ وأشياء أخرى عديدة ٠

وأخذ توم ينظر الى تلك المقتنيات وهو حزين ٠٠ ثم أخذ يفكر ويحدث نفسه فى سره : لا أحد يريـد شيئا من هذه الأشياء ٠٠ لا أحد على استعداد لدهان هذا السور مقابل بلية أو قطعة من الدوبارة ٠٠ !

وهنا طرأت على ذهن توم فكرة جديدة ، فقام على الفور ، وأمسك بالفرشاة ، وعاود طلاء السور بهمة ٠ وفى أثناء ذلك ، ظهر بن روجرز وهو ولد فى عمر توم ، ولكنه ولد هادىء لا يعرف المشاغبة ٠ وكان بن يأكل تفاحة كانت فى يده ، بينما كان يتخيل نفسه كما لو كان سفينة بحرية كبيرة ، ولذلك فقد كان يتحـــرك بطريقة غريبة وهو يسير مترنحا من جهة الى أخرى ، ويتمايل مثل تمايل السفينة وهى تمخر عباب الماء ،

وكان يخرج من فمه أصواتا عالية فى شكـــل أوامر يصدرها لتوجيه السفينة .

وتظاهر توم بأنه لم يلاحظ تلك السفينة العجيبة القادمة نحوه ، و نهمك فى طلاء الســور ، ولم يقـل شيئا .

فنادى عليه بن :

ـ توم ! .. ماذا تفعل يا توم .. لقد أوقعت نفسك فى المتاعب يا ولدى .. فأجبروك عـلى القيام بهذا العمل عقابا لك !

ومع ذلك فلم يلتفت توم اليه ، وتظاهر بالانهماك فى طلاء السور بعناية شديدة ، ولم يقل شيئا .. وبعد لحظة توقف عن الطــلاء ، وتراجــع الى الخلف بضــع خطوات ، وأخذ ينظر الى الجزء المدهون من السور بطريقة جعلته يبدو كما لو كان فنانا ينظر الى لوحة يرسمها .

وهنا اضطر بن الى الصياح مرة أخرى :

ـ توم .. لماذا أجبروك على القيام بهذا العمل ؟!

وهنا فقط ، تظاهر توم بأنه قدلاحظ وجود بن لأول مرة ٠

فقال دون اهتمام به :

ـ أوه ٠٠ هل أنت هنا يا بن ٠٠ انى لم ألحظ وجودك قبل ذلك ٠٠

فقال بن فى شماته وهو يغيظ توم :

ـ أنا ذاهب للسباحة ٠٠ وأنت لا تستطيع أن تأتى معى ٠٠ وتدعى أنك منهمك فى العمـــل ٠ وأن هذا أفضل لك ٠٠ ان هذا الشىء مضحك !

فنظر توم اليه بهدوء ٠

وقال :

ـ عمل ؟! ٠٠ أى عمل هذا الذى تقصده.؟!

فقال بن :

ـ طلاء السور ٠٠ أليس هذا عملا ٠٠ ؟!

فأجاب توم على الفور :

ـ ربما ٠٠ ولكنه شيء يمتعني تماما !!

وانصرف توم الى دهان السور بهمة واستمتاع ، واندهش بن من هذا الأمر ٠

فصاح فى توم متسائلا :

ـ هل تعني انك تحب القيام بهذا العمل ٠٠ ؟!

ـ ولم لا ؟! ٠٠ ان الاولاد الآخرين لا تتاح لهم مثل هذه الفرصة ٠٠ أنت مثلا ٠٠ هل أتيحت لك فرصة دهان أى سور من الأسوار طوال عمرك ٠٠ !!

وعندئذ تغيرت أفكار بن تماما ٠٠ وأخذ يحملق فى حسد فى فرشاة توم وهو يدهن السور بالطلاء الأبيض ٠٠

وبدأ يرجو توم قائلا :

ـ توم ٠٠ دعني أقوم بالطلاء ولو قليلا !

وتأكد لتوم أن بن قد وقع فى الفخ ، ولكن بدلا

من أن يوافق على الفور ، أخذ يفرض على بن بعض الشروط وهو يتظاهر بعدم الموافقة :

ـ لا أستطيع يا بن أن أوافق على طلبك ٠٠ فانى أريد أن أطلى هذا السور بطريقة جيدة ٠٠ ولا بد أن أقوم بذلك بنفسى ٠٠ لقد قررت أن يصبح هذا السور جميلا جدا بعد انتهاء الطلاء ٠٠ لقد طلبت منى خالتى أن أطليه بعناية شديدة ٠

ـ أعدك بأني سابذل كل جهدى وعنايتى ٠٠ أرجوك دعنى أدهنه ٠٠ !

ـ لا يابن ٠٠ فقد أوصتنى خالتى أن أقوم بهذا العمل بنفسى ٠٠ واذا تركتك تقوم بهذا العمل فانك سترتكب أخطاء الا اذا أجدت الطلاء واعتنيت به ٠٠ !

ـ لن ارتكب خطأ ٠٠ وأنا مستعد لأن أعطيك تفاحة !!

فتظاهر توم بأنه مضطر الى الموافقة ، واعطى الفرشاة الى بن ٠٠ وكان توم يتظاهر بالحزن ، ولكن

قلبه كان يرفرف فى صدره من شدة السرور والفرح ٠ وانهمك بن فى طلاء السور بهمة شديدة وعناية فائقة حتى تصبب منه العرق ، فى حين انهمك توم فى أكل التفاحة والاستمتاع بالتفكير فى خطط جديدة ٠

وبعد أن شعر بن بالتعب ، اكتفى بالجزء الذى طلاه من السور وانصرف ٠٠ ثم جاء الأولاد الآخرون بعد ذلك تباعا ٠٠ فى البداية كانوا يسخرون من توم وهو يقوم بالطلاء ، ولكنهم سرعان ما كانوا يطلبون منه الاشتراك فى متعة طلاء السور ، وكان توم يتظاهر بالتمنع وعدم الموافقة الا اذا أعطوه بعضا من مقتنياتهم ٠٠ فحصل منهم على اثنتى عشرة بلية ٠٠ وقطع من الدوبارة ٠٠ وقطع من الزجاج الأزرق من قنينة مكسورة ٠٠ وتمثال صغير من الصفيح لأحد الجنود ٠٠ ومفتاح لا يفتح شيئا ٠٠ ولجام كلب بدون كلب ٠٠ ومقبض سكينة قديمة ٠٠ وأربعة أجزاء من برتقالة ٠

وهكذا تمتع توم بكسله وانصرافه عن العمل الذى كلفته به خالته ٠ ومع ذلك فقد أصبح السور جميلا ،

بعد أن طلى بعناية ، بثلاث طبقات من الطلاء الأبيض !

واكتشف توم من هذه التجربة أن هناك قانونا عظيما يقول : اذا كان الانسان لا يستطيع الحصول على شيء ما ، فانه يطلبه ويبتغيه .. واذا أجبر الانسان على فعل شيء لا يرغب فيه ولا يحتاجه فلن يجد فى هذا العمل متعة ..

ان تسلق الجبال يعتبر متعة كبيرة لأن أحدا لا يحتاج الى فعل ذلك .. واذا قدت عربتك بنفسك فهذه متعة .. أما اذا قدت عربة لا تملكها لمصلحة شخص آخر ، فهذا هو « العمل » ولن تكون هناك متعة ..

الفصل الثالث

فتاة فى الحديقة

قال توم لخالته :

ـ هـــل يمكننى الآن أن أذهب لألعب قليـــلا يا خالتى ٠٠ ؟!

فتساءلت الخالة بصوت عال :

ـ ليس الآن ٠٠ فأنت لم تنته من طلاء الســور بعد ٠٠

ـ لا يا خالتى ٠٠ فالسور كلـه الآن مدهـــون بالطلاء الأبيض !

ـ لا تكذب يا توم ·· فانى لم أعد استطيع احتمال أكاذيبك ··

ـ لا يا خالتى ·· انى لا أكذب ·· تعالى لترى السور بنفسك ··

وخرجت الخالة لتتأكد بنفسها ·· وما أن رأت السور حتى أصابتها الدهشة فقد كان السور مدهونا كله بعناية شديدة وأصبح نظيفا للغاية ·

وابتسمت وهى تقول :

ـ يا سلام يا توم ·· انك تجيد العمل عندما تريد أن تعمل ·· ولكنك لا تقبل على العمل فى كثير من الأحيان ·· الآن تستطيع أن تذهب لتلعب ·· ولكن اياك ان تتأخر فى العودة الى المنزل ·· !

وازدادت بتسامة الخالة ، بل ومنحت توم تفاحة · وبينما كان يتجه صوب الشارع ، شاهد أخاه سيد ، فبصق توم على الأرض عدة مرات ؛ ثم أخذ طريقه تجاه القرية ·

وفى ساحة القرية كان هناك عديد من الأولاد ، سرعان ما قسموا أنفسهم الى جيشين متحاربين · وتولى توم قيادة الجيش الأول ، وتولى جو هاربر قيادة الجيش الثاني ، وبدأت على الفور معركة حربية حامية انتهت بانتصار جيش توم · وتوقف القتال تماما ، وتفاوض الاولاد لتحديد موعد المعركة القادمة ·

وبينما كان توم يأخذ طريقه عائدا الى البيت ، مر على بيت صديقه وزميله فى المدرسة جيف تاتشر ، وهناك شاهد فتاة لم يرها من قبل ·

كانت الفتاة واقفة وحدها فى الحديقـة · وكانت ذات شعر أصفر وعيون زرقاء جميلة ··

وكان توم يحب فتـــاة اســـمها ايمى لورانس ، ولكنه سرعان ما نساها عندما شاهد تلك الفتاة الجديدة، بالرغم من أنه قد قضى شهورا طويلة حتى فاز بحب ايمى ··

توقف توم خارج الحديقة ، وأخذ ينظر الى الفتاة لبعض الوقت الى أن تنبهت الفتاة الى وجوده ، فتظاهر على الفور بأنه لا يراها ، وحاول أن يقوم بعرض بعض مهاراته وأعماله الذكية ، ولكنه شعر بأن الفتاة قد انصرفت عنه ، واتجهت صوب البيت وبدأت تصعد درجات السلم ، ولكنها توقفت فجأة وألقت وردة فوق سور الحديقة واختفت ٠

وفي الحال جرى توم نحو الوردة والتقطها سرا ، وخبأها داخل معطفه ، في أقرب مكان الى قلبه ٠ وانتظر جوار السور طويلا لعل الفتاة تطل عليه مرة أخرى ، ولكنها لم تظهر رغم أن ظلام الليل قد أوشك أن ينسدل ٠٠ وبدأ توم يسير ببطء عائدا الى بيته ٠

وهناك أنبته خالته لأنه جرح مشاعر أخيه سيد ، كما ضربته لأنه سرق بعض السكر ٠

وقال توم لخالته :

ـ انك لا تضربين سيد عندما يسرق السكر !

فقالت الخالة وهى تتجه صوب المطبخ :

ـ سيد ولد طيب ·· وهو أفضل منك ·

وهنا مد سيد يده نحو السكرية الموضوعة على المائدة ولكنها سقطت من يده فجأة وتكسر زجاجها على الأرض وأدخل هذا الحادث كثيرا من السرور على قلب توم ، عندما تخيل الخالة وهى تعاقب سيد على فعلته تلك · وانتظر عودة الخالة وهو يشعر بسعادة غامرة ·

وبمجرد عودة الخالة الى الغرفة ، شاهدت على الفور السكرية المكسورة ، وظهرت ملامح الغضب على وجهها ، وبالتالى فقد ازداد سرور توم وأخذ يضحك فى سره · وفجأة دفعته الخالة فسقط على الأرض ! ··

وصاح توم :

ـ لماذا تضربينى أنا ؟! ·· سيد هو الذى كسر السكرية ·· أنا لم أكسرها ·· !

ولم تقل الخالة العجوز شيئا ، ولكنها شعرت بالحزن والأسف تجاه توم ·· كانت تود أن تكلمه برفق ، ولكن ذلك كان صعبا للغاية ·

واخيرا قالت :

ـ انك تستحق الضرب على أية حـــال بين حين وآخر ‥ لانك ولد سيىء !

وتفهم توم موقفها نحوه ‥ وظل جالسا بهدوء فى ركن الغرفة ، وهو يأسف لحاله ٠ وحاول أن يتخيل أنه مات ‥ وأخذ يقول لنفسه : « لو أننى مت ‥ فلا شك أن خالتى ستحزن على كثيرا ! » ‥ وبـــدا يتخيل خالته وهى تنحنى فوق جثمانه ‥ وتبكى ‥ وتقول :

ـ اغفر لى يا توم ‥ !!

وهنا أدار توم وجهه تجاه الحائط وتظاهر بالموت ‥ وانتظر ما سوف يحدث ‥ ولكن شيئا لم يحدث ‥ ولذلك فقد شعر بالحزن ، وأخذ يبكى فى صمت ‥

وفجأة دخلت ابنة عمه مارى الى الغـــرفة وهى تجرى وترقص فى سعادة ٠ وهنـــا اضطـــر تـــوم الى النهوض من ركنه ، وخرج من الغرفة ، وتســـلل الى

لخارج .. وسار الى جوار شاطىء النهر ، ثم جلس ، وأخرج الوردة التى كان يحتفظ بها قرب قلبه ، وأخذ ينظر اليها بحزن .

وهمهم لنفسه قائلا :

ـ ترى هل تلك الفتاة قاسية القلب هى الأخرى .. أم انها فتاة لطيفة ؟!

وكانت الساعة قد قـــاربت التاسعـة والنصف مساء عندما وصل توم الى بيت الفتاة الجديدة .. وكان البيت غارقا فى الصمت ، وكل أنواره مطفأة عدا نافذة واحدة يتسلل منها بعض الضوء . وتخيل توم فتاتـه جالسة فى تلك الحجرة قرب النافذة ، وربما ستطــــل منها وتراه ..

وقفز توم فوق سور البيت ، واخترق الحديقة ، وجلس تحت تلك النافذة ، وهو يمسك الوردة في يده ويفكر في فتاته .. وتخيل أن هذا المكـان هــو أصلح مكان يموت فيه .. فرقد على الأرض كما لو كان ميتا .

وهو يفكر فى سره :

فى الصباح ستراني الفتاة وقد مت تحت نافذتها
وعندئذ ستبكى قليلا لانى توفيت بهذه الطريقة !

وفجأة .. فتحت النافذة .. وأطل منها رجـــل دلق على توم دلوا مملوءا بالماء البارد .. فهب توم واقفا على قدميه ، وانطلق يجرى فى الحديقة ..

وفى نفس اللحظة ، شاهد توم شيئا يطـير فى الظلام قرب رأسه .. هل هى قطة يا ترى ؟ .. لقـد قفزت فوق السور ، وانطلقت تجرى مختفية فى ظلام الليل .. !

الفصل الرابع

يوم الاثنين بدأ سيئا

لم يكن توم سعيدا فى صباح يوم الاثنين .. فهو لا يحب أيام الاثنين لأن فيها بداية الأسبوع المدرسى بعد عطلة الأحد .. وهو لا يحب الذهاب الى المدرسة .

وظل توم راقدا على سريره بعد أن استيقظ .. وتمنى لو كان مريضا .. فالاولاد المرضى يبقون بالبيت ولا يذهبون الى المدرسة .. وعلى الفور بدأ ينفذ خطة ادعاء المرض ، وأخذ يتفحص نفسه ليختار صنف المرض الذى سيدعيه .. ان معدته فى حالة صحية جيدة .. وفجأة تذكر أن احدى أسنانه « ملخلخة » لحسن حظه .

ولكنه سرعان ما تذكر الطريقة المؤلمة التى تقوم بهـا خالته لخلـع الاسنـان الملخلخـة ، فهى تسبب آلاما لا تحتمل ••• !

وتذكر توم بعض كلمات قالها الطبيب عن الاصبع المتقرحة نتيجة لتلوث جرحها بالقـذارة ، حيث قال الطبيب أن هذا الأمر فى غاية الخطورة • وهنا جذب توم قدميه واحدة بعد أخرى وأخذ يتفحص أصابـع قدميه اصبعا اصبعا ، ورغم انه لم يتذكر أنه قد أصيب بجرح ما ، الا أنه قال لنفسه ربما كانت احدى اصابع قدميه متقرحة •• ولذلك فقد بدأ يئن ويتوجع ببطء •

ثم أخذ يئن بصوت عال حتى يجبر أخاه سيد على الاستيقاظ •• ومع ذلك فقد ظل أخوه نائما •• فاضطر توم الى رفع صوت الأنين عاليـا وهـو يهز أخـاه بشدة ، الى أن فتح سيد عينيه ونظر الى توم ، الذى حول على الفور انينه الى صراخ مرتفع : سيد •• سيد •• الحقنى يا سيد !!

فصاح سيد وهو يهز توم بشدة :

ـ توم ·· ماذا حدث ·· لماذا تئن هكذا ·· ؟!

فصرخ توم وهو يواصل الأنين :

ـ لا تهزنى هكذا ·· أرجوك !

ـ ماذا حدث لك يا توم ·· سأستدعى خالتى !

ـ لا يا سيد ···لا تستدعيها ·· فربما سأشفى بعد قليل ··

ـ ولكن يجب أن استدعيها فورا ·· لا تئن هكذا يا توم ·· ان هـــذا لشىء مخيف ·· منذ متى وأنت تتوجع على هذا النحو ··

ـ آه ·· منذ ساعات وساعات يا سيد ·· لقد عفوت عنك يا بسيد وغفرت لك كل شىء ·· انى أغفر لك قيامك بكسر السكرية قبل أن أموت ··

فقال سيد وقد اشتد به الهلع :

ـ اوه توم ·· هل أنت تموت الآن ·· ؟!

ـ انى أغفر لكم جميعا يا سيد ·· وأغفر لخالتى التى ضربتنى لانهـــا كانت تظن أنى أنا الذى كسر السكرية ·· انها لم تعلم الحقيقة ·· وهناك شىء آخر يا سيد ·· بعد أن أموت ·· أرجوك أن تعطى قطتى للفتاة الجديدة ·· وأرجوك أن تخبرها ··

وهنا كان سيد قد انطلق خارجا من الغرفة وأخذ يهبط درجات السلم بسرعة ·

وهو يصيح بأعلى صوته :

ـ خالتى ·· خالتى ·· تعالى بسرعة ·· ن توم يموت الآن ··

فقالت الخالة مذعورة :

ـ يموت ·· ؟!!

ـ نعم يا خالتى ·· لا تتأخرى ·· تعالى بسرعة !

ـ يموت ·· هل هذا معقول ·· انى لا أصـــدق ذلك ··

ومع ذلك فقد أخذت الخالة فى الصعود على درجات السلم بسرعة ، وتبعتها مارى ، وتبعهما سيد فى النهاية •• وأصبح وجه الخالة شاحبا •• وأخذت شفتاهـــا ترتعشان •• وعندما وصلت الى سرير توم •

سالته بلهفة :

ـ ماذا حدث يا توم ؟

فقال توم وهو يئن :

ـ آه يا خالتى بوللى •• آه •• !

ـ قل لى ماذا تشكو يا بنى !.

ـ آه يا خالتى •• ان لدى اصبع متقرحة ويبدو انها قد تسممت •• !

وهنا جلست الخالة على المقعد ، وأخذت تضحــك بصوت مرتفع • وعندما تمالكت انفاسها هست واقفــة **وزعقت فى توم آمرة :**

ـ كفى •• توقف عن هذا الكلام الفارغ •• هيا انهض من سريرك !

وتوقف توم عن الانين **وقال :**

ـ انها متقرحة جدا يا خـالتى وتؤلمنى بشـدة ، لدرجة أنى نسيت أن سنتى « ملخلخة » وتؤلمنى هى الأخرى ..

ـ سنتك ؟ .. ماذا حدث لسنتك .. ؟

ـ « ملخلخة » يا خالتى .. وتؤلمنى جدا ..

ـ توقف عن الأنين وافتح فمك ودعنى أرى .. آه .. انها ملخلخة فعلا .. ولكنها لن تتسبب فى موتك .. مارى .. اذهبى واحضرى قطعة من الخيط الحريرى .. وقطعة فحم مشتعلة من المدفأة !!

وهنا توسل توم الى خالته :

ـ أرجوك يا خالتى لا تخلعى سنتى .. انها لم تعد تؤلمنى الآن .. أنا لا أريد أن أبقى بالبيت .. أريد أن أذهب الى المدرسة !

ـ هل صنعت لنا كل هذه المتاعب بسبب رغبتك

فى عدم الذهاب الى المدرسة ·· كنت تريد أن تتسكع
على شاطىء النهر لتصطاد السمك ·· اليس كذلـــك
يا توم ·· آه لو تعلم بأنى احبك كثيرا ·· ولكنك
تريد أن توجع قلبى !

وما أن عادت مارى ومعها الخيط الحريرى وقطعـة
الفحم المشتعل ، حتى قامت الخالة على الفور بربط طرف
الخيط بالسنة الملخلخة فى فم توم ، وربطت الطرف
الآخر بأحد قوائم السرير ·· وعلى حين فجأة أمسكت
بقطعة الفحم المشتعل وقربتها الى وجه توم ، الذى تراجع
الى الخلف بسرعة وانخلعت سنته فورا ··

وبينما كان توم يأخذ طريقه الى المدرسة ، قابل
عدة أولاد من زملائه ، وأخذ يريهم المكان الخالى فى فمه
بعد خلع سنته · وكان الاولاد يقولون دائما أن توم
ولد لطيف ·· وهنا قابل توم صديقه هكلبرى فين ··

كل الأمهات فى المدينة كن يكرهن هكلبرى هذا
·· لانه ولد سيء ·· شرير لا عمل له ·· وكانت الخالة



وفجأة ٠ قربت قطعة الفحم المشتعل نحو وجهه ؟

بوالى تمنع توم دائما من اللعب مع هكلبرى ٠٠ ولكن توم كان يلعب معه كلما وجد الى ذلك سبيلا ٠

كان هكلبرى رث الثياب ٠٠ وهيأته دائما قذرة ٠٠ وعندما كان بعض الناس يرمون ثيابهم القديمة الممزقة كان هكلبرى يلتقطها ويرتديها ٠٠ وكان لا يذهب الى المدرسة ٠٠ وينام على السلالم وليس له بيت يأويه ٠ ومع ذلك فقد كان هكلبرى يحب هذا النوع من الحياة ٠٠ حيث يستطيع أن يدخل فى أية معركـــة عندما يريد ٠

وكان هكلبرى لا يعرف طريقة النوم على الأسرة ، ويستطيع أن يسهر لوقت متأخر من الليل ٠٠ وكان لا يستحم أبدا ٠٠ ومع ذلك فقد كان جميع الاولاد فى سانت بترسبورج (١) معجبين بهكلبرى فين ، ويتمنون أن يعيشوا حياة مثل حياته ٠٠

قال توم :

ـ هالو هكلبرى !

---

(١) فى الولايات المتحدة الامريكية ٠

ـ هالو ٠٠ !

ـ ماذا تمسك في يدك يا هك ؟

ـ قطة ميتة ٠٠ سآخذها معي هذه الليلة ٠٠ انهم سيسرقون جثة الرجل العجوز هـورس وليامز هـذه الليلة ٠٠ وسأذهب الى المقابر لأشاهد ذلك ٠٠ لقد دفنوا الرجل العجوز يوم السبت ، وسيسرق اللصوص جثته هذه الليلة !

فقال توم على الفور :

ـ خذني معك الى المقابر يا هك !

ـ تستطيع أن تأتي اذا كنت لا تخاف ٠٠

ـ أنا لا أخاف طبعا ٠٠

وعندما وصل توم الى المدرسة الصغيرة ، اسرع بالدخول ولكن الناظر مستر دوبينز لمحه ٠٠

فنادى عليه :

ـ توماس سوير !

ـ سيدى !

ـ تعال هنا ·· لماذا تأخرت حتى الآن ؟

وكان توم يقول فى كثير من الأحيان حججا كاذبة ·· ولكنه هذه المرة لمح فتاته ذات الشعر الأصفر والمقعد الخالى جوارها ·· وكان هذا المقعد هو المكان الخالى الوحيد فى جانب الفصل المخصص للبنات ·

وعندئذ أجاب توم سؤال الناظر بشجاعة :

ـ توقفت قليلا لأتحدث مع هكلبرى فين !!

وعلت الدهشة وجه الناظر مستر دوبينز ·· كما أن جميع الاولاد ظنوا أن توم قد فقد عقله ·· وكرر الناظر سؤاله بطريقة أخرى :

ـ يبدو انى لم اسمعك جيدا يا توماس سوير ·· هل تكرر ما قلت ؟!

فقال توم بهدوء ووضوح :

ـ توقفت قليلا لأتحدث مع هكلبرى فين !!

عندئذ قال الناظر بغضب :

ـ اذن فلتخلع معطفك !

ورفع عصاه على الفور وأخذ يضرب توم بشدة . وتحمل توم الضرب صامتا دون أن يتـــأوه ولو مرة واحدة .. وبعد أن تعب الناظر من كثرة الضرب ، توقف لاهثا وصرخ فى وجه توم :

ـ هيا .. اذهب واجلس مع البنات عقابا لك على ذلك !

وتظاهر توم بالحزن مـــع انه لم يكن حزينا .. واتجه ببطء الى الصف الذى تجلس فيه البنـــات وجلس على المقعد الوحيد الخالى .. جوار فتاته ذات الشـــعر الأصفر !

وما أن جلس الى جوارها ، حتى أشـــاحت البنت بوجهها وابتعدت قليلا . وسمع تـــوم بعض الهمهمات والهمسات من زملائه بالفصل ، ومع ذلك فقد صامتا لا يتكلم الى أن هدأ كل شىء مرة أخرى .

وأخذ توم ينظر سرا الى الفتاة ، الى أن لاحظته ، فأدارت وجهها الى الناحية الأخرى لمدة دقيقة ٠٠ وعندما التفتت اليه رأت تفاحة موضوعة على درجها ، فأزاحتها بعيدا ووضعتها بغضب على درجه ٠٠ وبلطف شديد وضع توم التفاحة على درجها مرة أخرى ٠٠ فأزاحتها بعيدا بغضب أقل ووضعتها على درجه ، فوضع توم التفاحة على درجها ، فتركتها الفتاة حيث كانت ولم تغضب هذه المرة ٠٠ !

وبدأ توم يرسم بيتا ٠٠ ولكن الفتاة ادارت رأسها بعيدا ٠٠ ورسم توم بيوتا أخرى ٠٠ وهنا بدأت الفتاة في النظر الى الرسم ٠

وقالت هامسة :

ـ دعني أرى رسمك !

وعرض توم على الفتاة الصورة التي رسمها ٠

فقالت على الفور :

ـ يا له من رسم جميل ٠٠ ارسم رجلا !

وعلى الفور شرع الفنان فى رسم صورة لرجل ضخم يقف في حديقة البيت .

فهمست الفتاة :

ـ انه رجل جميل .. والآن ارسمني !

فرسم توم صورة لفتاة بدينة ذات ذراعين نحيفتين

فقالت الفتاة :

ـ هذا رسم جيد .. انى لا اعرف كيف أرسم !

فقال توم هامسا :

ـ استطيع أن أعلمك !

ـ صحيح ؟ .. اذن متى ..؟!

ـ بعد أن تنتهى الفترة الصباحية .. هل ستعودين الى بيتك لتناول الغداء ؟!

ـ نعم .. ولكنى استطيع أن أبقى هنا اذا كنت ستبقى معى ..

ـ حسن .. سأبقى .. ما اسمك ؟!

ـ بيكي تاتشر ·· وأنت ها اسمك ·· ولـــكنى أعرفه ·· انك توماس سوير ··

ـ هذا هو اسمي الرسمي عندما يضربوننى ·· ولكن يمكنك ان تنادينى بتوم ·· فهذا هو اسمى عندما اكون لطيفا ··

وبدأ توم يكتب شيئا فى ورقة ·· وأخـــذت الفتاة تنظر الى ما يكتبه ·· ولكنـــه اخفى الكتابة **وقال :**

ـ لا شيء ·· لم اكتب شيئا !

ـ ارجوك ·· دعنى اقرأ ما كتبت ·· !

ـ لا ·· انك ستخبرين الآخرين بذلك ··

ـ لا ·· لن أخبر أحدا ·· صدقنى ·· والآن دعنى أرى ما كتبت ··

ووضعت يدها الصغيرة على يده ، وحاولت النظر الى الكتابة ، وتظاهر توم بأنه يحـــاول منعهـــا من القراءة ، ولكنـــــه ترك يده تتزحزح ببطء من فوق الكتابة · وعندئذ قرأت الفتاة كلمة : احبك !!

فضربته على يده وهى تقول :

ـ انك ولد سيىء !

ولكن ملامح وجهها كانت فى قمة السعادة ..!

وهنا شعر توم بأن يدا قد امسكت بأذنه وأخذت تلويها بعنف .. لقد جذبه الناظر من أذنه وانهضه واقفا .. واخذ يجره بهذا الشكل من آخر الفصل حتى أوله .. وانطلقت ضحكات الأولاد وضحكات البنات ..

أما توم فقد كانت اذنه تؤلمه .. ولكن قلبه كان مسرورا .. وحاول أن يلتفت الى الدرس .. ولكن ذلك كان صعبا للغاية .. !

الفصل الخامس

مشاجرة !

وبعـــد أنتهاء الفترة الصباحية **همس توم فى اذن بيكى :**

ـ تظاهرى بانك ستذهبين الى البيت ·· ولكن عندما تصلين الى الناصية ·· ارجعى وعـــودى الى المدرسة مرة أخرى ·· وهناك سوف اقابلك !

وأومأت بيكى برأسها موافقة ، وسارت قليـــلا مع بعض البنات ، كما سار توم قليلا مع بعض الأولاد· ثم عاد كل منهما الى المدرسة مرة أخرى ··

لم يكن هناك غيرهما فى حجرة الدراسة ..
وجلسا سويا على مقعد واحد .. وأعطى توم لبيكى قلما .. وامسك بيدها ، وجعلها ترسم بيتا .. ثم بدأ بينهما الحديث .

وسالها :

ـ هل وعدت أحدا بالزواج من قبل يا بيكى .؟!

ـ لا .. أبدا !

ـ وهل تريدين أن تتزوجى .. ؟!

ـ لا أدرى .. وماذا يحدث لو وعدت .. ؟

ـ لا شىء .. مجرد أن تقولى وعدتك .. ثم تعطين قبلة لمن وعدت ..

ـ قبلة ؟ .. لماذا تريد قبلة ؟!

ـ لا ادرى .. ولكن كلهم يفعلون ذلك !

ـ كلهم .. ؟!

ـ نعم .. يحدث ذلك دائما عندما يحب شخص

شخصا آخر .. لقد كتبت لك كلمــــة .. هـــل تذكرينها .. ؟!

ـ هل تريدين أن أهمس لك بها .. ؟!

ولم ترفض بيكى .. فهمس توم بالكلمــــة بصوت منخفض ، ثم قال لها :

ـ والآن .. عليك أن تقوليها .. !

فقالت بيكى :

ـ عليك أولا أن تدير وجهك الى الناحية الاخرى، حتى لا تراني وأنا أقولها ..

فأدار توم وجهه ..

وهمست بيكى ببطء :

ـ أ .. ح .. ب .. ك !!

وعلى الفــور انفلتت هــاربة وأخــذت تجرى فى الفصل .. وجرى توم وراءها .. حتى أمسك بهــا فى النهاية .. واعطاها قبلة !

ـ هذا هو كل شيء ٠٠ ولكن من الآن عليك أن تحبيني وحدى ٠٠ ولا تحبي أى شخص غـــيرى ٠٠ ويجب أن تمشي معي عند مجيئك الى المدرسة ٠٠ ولا تمشي مع أى ولد من الآخرين ٠٠ !

ـ جميل ٠٠ لم اســـمع مثل هذا الكلام من قبل ٠٠

ـ نعم جميل ٠٠ بل جميل جدا ٠٠ فانا وايمى لورنس ٠

وفتحت بيكى عينيها وأخذت تحملق فيه بغضب ٠٠ ففهم على الفور انه قد ارتكب خطأ كبيرا ٠ وهنا انفجرت بيكى باكية وقالت :

ـ اذن ٠٠ هناك فتاة أخرى غيرى ٠٠ ولم أكن الفتاة الوحيدة فى حياتك ٠٠ ؟!

فهمهم توم معتذرا :

ـ لا تبكى يا بيكى •• فأنا لم أعد أحب ايمى لورنس الآن !

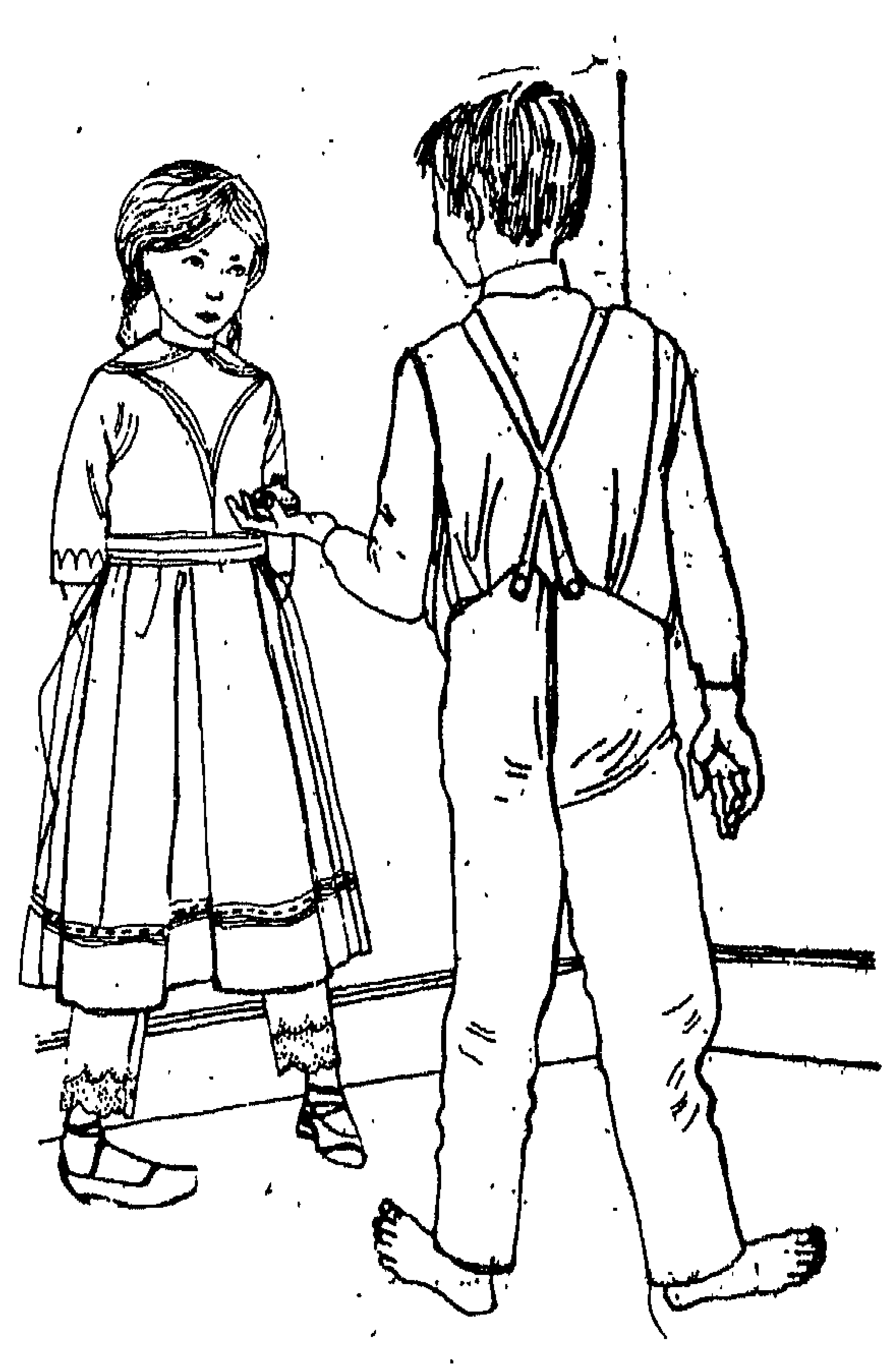
ولكن بيكى ادارت وجهها الى الحائط ، وأخذت تبكى من جديد •• وحاول توم أن يضع ذراعه على كتفها ، ولكنها ازاحت ذراعه على الفــور •• وظلت تبكى بجوار الحائط • وهنا خرج توم من الفصـــل لينتظرها بعد أن تنتهى من البكاء •• وكان ينظـر الى الباب بين حين وآخر ولكنها لم تخرج •• فاضطر توم الى الدخول الى الفصل مرة أخرى •• وكانت بيكى مازالت تبكى وقد اسندت وجهها الى الحائط فناداها :

ـ بيكى •• !!

ولكنها لم تجب ••

وكان توم يحتفظ فى جيبه بحلية معدنية عــلى شكل « أكرة » باب كان يعتبرها اغـــلى كنوزه •• فأخرج الحلية من جيبــه •• وقدمها اليهــا كهدية ••

ولكن بيكى ضربت يده فسقطت الحلية على الأرض



وعرض عليها اغلى كنوزه • الاكرة !

.. وهنا خرج توم من الفصل .. وترك المدرسة .. ولم يحضر فى فترة بعد الظهر ..

وأخذت بيكى تنظر الى الحلية الملقاة على الأرض .. وانتظرت .. ولكن توم لم يعد اليها .. فجرت نحو الباب ولكنها لم تعثر له على أثر .. لقد اختفى .. فصاحت متوسلة :

ـ توم .. توم .. تعال يا توم !

ولم تسمع أية اجابة .. فانخرطت فى البكاء من جديد .. ولكن سرعان ما بدأ الأولاد والبنات يعودون الى المدرسة لفترة بعد الظهر ، فتوقفت عن البكاء وتظاهرت بالهدوء .. ولكن فترة بعد الظهر كانت طويلة .. وحزينة !

الفصل السادس

فى ساحة المقابر

كان توم حزينا وهو يسير فى طريق ريفى ·· ثم دخل الى الغابة ·· وهناك جلس يفكر فى حياته ·· وكان كل شيء هادئا ساكنا ، فازداد احساسه بالحزن ··

ترى ·· ما هو الخطأ الذى ارتكبه ؟ ·· لاشك أن الفتاة قد عاملته بطريقة سيئة ·· لذلك فقد تمنى أن يموت ، ولكن لفترة قصيرة فقط ·· وأخذ يسائل نفسه : ماذا ستصنع الفتاة اذا علمت بموته ·· أو اذا ذهب دون أن يعود ·· ولكن الى أين يذهب ·· ؟!

صحيح .. الى أين يذهب .. ان فى امكانه أن يصبح جنديا .. ويستطيع عندئذ أن يذهب الى بلاد بعيدة أخرى .. ثم يعود بعد مرور عدة سنوات ، وبعد أن يكون قد اشترك فى عديد من المعـــــارك الحربية .. !

ولكن لا .. هناك فكرة أخرى احسن من فكرة الجندية .. انه يستطيع أن ينضم الى الهنود الحمر .. ويصطاد الوحوش والحيوانات المفترســـــة .. ويتسلق الجبال العالية .. ويدهن وجهه بالألوان ، ويزين رأسه بالريش .. بل ويمكنه عندئذ أن يصبح رئيس قبيلة هندية ، ثم يقـــوم بالهجـــوم بجيشه على المدرسة ذات صـــــباح ، فيدهش المدرس والتلاميذ والتلميذات جميعا .. !

ولكن لا .. هناك فكرة أخرى أحسن من هـــذه وتلك .. ان فى امكانه أن يســـتولى على ســـفينة ويقودها بنفسه ليهاجم بها السفن الأخرى .. لقــد سمع كثيرا عن القراصنة الذين يهاجمون السفن فى

البحـار ٠٠ وهو يستطيع أن يصبح قرصانا ٠٠ نعم ٠٠ هذا هو الحل السليم ٠٠ وأخذ يقول فى سره : سأصبح قرصانا مشهورا ٠٠ وعندما اعود بسفينتى الى الوطن ٠٠ سيرى الناس العلم الاسود المرفوع فوق الصارى ٠٠ وسيهمس النـاس باسمى ويخافون منى ٠٠ نعم ٠٠ سأصبح قرصانا أجوب البحار ٠٠ وأهجم على السفن العابرة ٠٠ وأصبح مشهورا واسع الثراء ٠٠ !

وفى الساعة التاسعة والنصف من مساء ذلك اليوم ، رقد توم فى سريره مستيقظا ، بعد أن عـاد الى بيت خالته ٠٠ وكان أخوه سيد نائما فى السرير المجاور ٠٠

وسمع توم دقات الساعة وهى تعلن العاشرة ٠٠ ومع ذلك فقد ظـل مستيقظا ينتظر ٠٠ وتطرقت الى سمعه اصوات بعيدة ٠٠ سـمع نباح كلب ٠٠ ثم تثاقلت جفون عينيه ، وأخذ يغفو وهو يقاوم سلطـان النوم ٠٠

وفى الساعة الحادية عشرة . سمع توم مـــواء فطه ٠٠ وكان مستغرقا فى أحد الأحلام فى تلك اللحظه ٠٠ وظن ان مواء القطة جزء من الحلم ٠٠ ويبدو أن أحد الجيران قد فتح نافذته وألقى منها زجاجة فارغة سقطت على أرض الشارع ٠٠ وهنا تنبه توم واستيقظ من نومه تماما ٠٠ ومع ذلك فقد سمع مواء القطة مرة أخرى ٠٠ وهنا تذكر أن هذا الصوت هو الاشارة التى اتفق عليها مع هكلبرى فين ٠٠ !

وفى أقل من دقيقـــــة ، كان توم قد ارتدى ملابسه ، وقفز من النافذة الى السطح الأسفل ، ومنـــه قفز الى الأرض .. حيث كان هكلبرى فين فى انتظاره .. وكان فى اثناء ذلك يموء مثل القطة بين حين وآخر ٠٠

وسار الولدان معا فى ظلال الليل ٠٠ وبعـــد نحو نصف ساعة ، كانا قد وصلا الى ساحة المقابر٠٠ وهى ساحة قديمة تقع عند سفح التل ، وتبعد عـن القرية بنحو ميل ونصف ميل ٠٠ وكان يحيط بهـا سور قديم متهدم ، وتنمو فيها الاعشاب التى تكاد

تغطى كل مكان فيها ٠٠ وكانت هناك بعض ألـواح قديمة من الخشب مستخدمة كشواهد لبعض القبور٠٠ وكان قليل من الناس فقط يستطيعون قراءة الاسماء المكتوبة عليها ٠٠

وهبت ريح خفيفة أحدثت صوتا عندما اهتزت الأشجار وأوراقها ٠٠ وشعر توم بالخوف ٠٠

وقال لهكلبرى :

ـ يبدو يا هك أن الاشباح غاضـــــبة بسبب مجيئنا الى هنا ٠٠ !

وعندما وصل الولدان قرب قبر معين ، جلسا ينتظران تحت ثلاث أشجار ضخمة ٠

وقال توم :

ـ هل هؤلاء الموتى يحبون مجيئنا اليهم ٠٠ هل يريدون أن نبقى هكذا بالقرب من قبورهم ٠٠ ما رأيك يا هك ٠٠ ؟!

فقال هك :

ـ لا ادرى ·· أنا لا أحب هذه المقابر ·· هل تحبها انت ·· ؟

ـ لا طبعا ·· ولكن هل تظن ان المرحوم هورس وليامز العجوز يسمعنا الآن ·· ؟!

ـ اعتقد انه يسمعنا ·· وبالتأكيد فان روحه تسمعنا ·· !

وتوقف الحديث لحظة ·· وفجأة امسك تـــوم بذراع هك الذى انتابه الفزع ،

وقال :

ـ ما هذا يا توم ··

فقال توم وقد اوشك قلبه ان يتوقف :

ـ هل سمعت هذه الاصوات ·· انصت ··

ـ نعم يا توم ·· انهم قادمون ·· الاشـــباح قادمون ·· ماذا نصنع الآن ·· ؟!

ـ لا ادرى .. ولكن هل الاشباح ستراننا ..؟!

ـ طبعا ستراننا .. انها ترى الأشياء فى ظلام الليل .. تماما مثل القطط ..

فهمس توم :

ـ ربما لن تستطيع الاشباح ان ترانا أو تلاحظ وجودنا .. اذا بقينا صامتين دون حركة .. !

وانكمش الولدان فى سكون تام .. ولكنهما سمعا اصواتا تأتى من نهاية ساحة المقابر ..

فهمس توم :

ـ انظر يا هك .. ما هذا ؟

ـ انها الاشباح .. انها تحمل النار معها .. أوه يا توم .. ان هذا شيء مخيف جدا .. !

وشاهد الولدان اشباحا تتحرك بين صفوف المقابر .. وكانت تحمل معها مصباحا قديما خافت الضوء .

فقال هك :

ـ يبدو انها ارواح شريرة .. هذا مؤكد .. انها ثلاثة أرواح .. يجب ان نصلى فورا يا توم ..

وقال توم :

ـ سأحاول الصلاة .. حتى لا يلحق بنا الأذى..

وهنا قال هكلبرى :

ـ انصت يا توم .. هل تسمع هذه الاصوات .. انها اصوات رجال .. هذا هو صوت موف بوتر .. أما هذا فصوت ريد جو !

ـ هذا صحيح وانت على حق .. ان هذا الرجل اسوأ من الأرواح الشريرة .. !

ووصل الرجال الثلاثة الى مقبرة هورس وليامز العجوز على بعد خطوات قليلة من المكان الذى يختبىء فيه توم وهك .. وكانت مع الرجال عربة صغيرة وبعض الحبال . وعلى ضوء المصباح القديم عرف الولدان من



 واخرج الرجال التابوت من القبر ٠٠ !

هو الشخص الثالث .. انه الدكتور روبنسون ، وهو طبيب شاب ..

وقال الدكتور وهو يشير الى القبر :

ـ هذا هو القبر المطلوب ..

وجلس الدكتور قرب شجرة ، وهو يشاهد الرجلين الآخرين وهما يفتحان القبر .. وكان يقول لهما بين حين وآخر : هيا .. اسرعا ..

وقام الرجلان باخراج التابوت من القبر .. ثم فتحاه واخرجا جثة الرجل العجوز ، ووضعاها فوق العربة الصغيرة ، وغطياها .. ثم التفت موف بوترالى الدكتور روبنسون

وقال له :

ـ نحن مستعدان الآن يا دكتور .. ولكن عليك أن تدفع لنا خمسة دولارات زيادة .. والا فاننا سوف نترك الجثة فى مكانها ..

وهنا تدخل ريد جو مؤيدا زميله :

ـ نعم ٠٠ يجب ان تدفع خمســــة دولارات أخرى !

فقال الدكتور فى حزم :

ـ ولكنى دفعت لكما الأجر المتفق عليه ٠٠ فماذا تريدان أكثر من ذلك ؟

فقال ريد جو مهددا :

ـ منذ خمس سنوات مضـــت ٠٠ تسللت الى المطبخ فى بيت أبيك ٠٠ كنت لا أريد أن احصل على دولارات ٠٠ كنت اريد ان احصل فقــط على بعض الطعام فقد كنت جائعا ٠٠ وقد ضبطتنى انت واطلقت سراحي ٠٠ ولكن اباك امسك بى وادخلنى الى السجن ٠٠ ان انسى ذلك أبدا ٠٠ ان دماء الهنود الحمر تجرى فى عروقى ٠٠ ولن أنسى ثأرى ٠٠ !

وهنا دفع الطبيب ريد جو بقوة فسقط عــلى الأرض لأن الطبيب كان أقوى منه ٠٠ وعندئذ **صــاح موف بوتر فى وجه الطبيب :**

ـ توقف عن هذا .. واياك أن تضرب صديقى !

وهجم بوتر على الطبيب ، وبدأت بينهما معركة حامية .. وفى خلال ذلك ، نهض ريد جو من سقطته على الأرض . والتقط السكين الخاصة بموف بوتر وكانت قد سقطت منه اثناء انهماكه فى المعركة . وأخذ ريد جو يراقب المعركة الدائرة بين بوتر والطبيب .. وكان الطبيب قد التقط لوحا من الخشب من مقبرة هورس وليامز ، وهوى به فوق رأس موف بوتر ، فسقط هذا الأخير على الأرض وقد فقد وعيه ..

وهنا تقدم ريد جو من الطبيب ، واغمد السكين فى صدره .. فسقط الطبيب ميتا .. وكان الولدان ـ توم وهك ـ يشاهدان هذه الاحداث المفزعة فى ضوء القمر ..

وبعد أن انتهى ريد جو من قتل الطبيب على هذا النحو ، قام بسرقة كل ما كان فى جيوب الطبيب من نقود .. ثم وضع السكين فى يد صديقه المغمى عليه ، وجلس فوق التابوت ينتظره حتى يفيق .

ومرت نحـو خمس دقائق .. وافاق موف بوتر وبدأ يتأوه ويفتح عينيه .. فرأى السـكين فى يده اليمنى فألقاها على الفور ، وانتفض جالسا وهو يسال صديقه بصوت خفيض واهن :

ـ ما هذا الذى حدث يا جو .. ؟!

فقال ريد جو على الفور :

ـ حدث شيء مخيف .. !

وتساءل موف بوتر :

ـ ولكن لماذا فعلت ذلك .. ؟!

فقال ريد جو بخبث وبسرعة :

ـ انا ؟! .. انا لم أفعل شيئا !!

وهنا بدأ موف بوتر يرتعش ، وشـحب لـون وجهه ، وأخذ ينظر الى جثة الطبيب القتيل وقـد اعتراه خوف شديد ..

وقال ببطء :

ـ أنا لا أذكر شيئا مما حدث ·· أذكر فقـــط اننا أخرجنا الجثة من التابوت ·· وطلبنا من الطبيب بعض دولارات اخرى ·· ثم بدأ شجار ·· ولكن كيف وقع القتل ·· هل انا الذى قتلت الطبيب المسكين ·· ان هذا لشيء مخيف · فقد كان شابا صغير السن ·· كيف حدث هذا يا جو ·· ؟!

فقال جو بمزيد من الخبث والدهاء :

ـ كنتما تتعاركان بشدة ·· وضربك هـو على رأسك بلوح من الخشب فســـقطت على الأرض ·· فأخرجت سكينك وقفزت فوقه وأغمدت السكين فى صدره ·· وفى نفس اللحظة ضربك هو باللوح عـلى رأسك مرة اخرى فأغمى عليك ·· !

وقال موف بوتر بصـــوت حزين وهو يركع على ركبتيه متوسلا :

ـ يبدو اننى شربت أكثر من اللازم ·· أنا لم أقتل أحدا من قبل ·· وأرجو ألا تخبر أحدا يا جـو

بهذا السر .. عدني بأنك لن تخبر أحدا .. ارجوك .. فأنت تعلم كم أحبك ..

فاجاب ريد جو :

ـ لقد كنت دائما مخلصا لى يا موف بوتر .. واعدك بأنى لن أخبر أحدا بهذا الموضوع .. !

وهنا طفرت الدموع من عينى بوتر ،

وقال وهو يئن باكيا :

ـ شكرا لك يا جو .. شكرا لك !

وقال ريد جو بخشونة :

ـ توقف عن هذا البكاء .. وعلينـــا الآن أن نخرج من هذا المكان .. فلتمش انت من هذا الطريق .. وسأمشى أنا من طريق آخر .. !

وعلى الفور شرع موف بوتر فى الجرى .. ولكنه ترك سكينه ملقاة على الاعشاب فى ساحة المقابر ..

الفصل السابع

قلب توم ·· يتحطم !

جرى الولدان بسرعة نحو القرية ·· كانا يخافان من كل ظل أو خيال ·· ولكنهما وصلا بسلام الى بيت قديم يقع على مشارف القـــرية ·· وهنـــاك جلسا يستريحان من شدة التعب ، ويلتقطان انفاســـهما بصعوبة بالغة ·· وظلا صامتين لفترة طويلة ، الى أن **تكلم توم فى النهاية متسائلا :**

ـ ماذا يمكن أن يحدث نتيجة لهذا الحادث الذى شاهدناه **يا هك** ·· ؟!

فقال هك بهدوء :

ـ اذا مات الدكتــــور روبنسون ٠٠ فلابد أن أحدا سيشنق ٠٠ انا متأكد من ذلك ٠٠ !

ـ ومن الذى سيبلغ بالحادث ويقول الحقيقــة ٠٠ هل سنقوم نحن بذلك ٠٠ ؟

ـ اذا قلنا أية كلمة ٠٠ فان ريد جو ســـيقوم بقتلنا فورا ٠٠ !

ـ انه لا يستطيع أن يقتلنا بعد أن يشنقوه ٠ !

فقال هك متأكدا :

ـ ولكنه قد يستطيع الهرب ٠٠ لندع مـــوف بوتر يواجه المشكلة وحده ٠٠ أما نحن فعلينا أن نلزم الصمت ولا نقول شيئا ٠٠

ـ هذا صحيح يا هك ٠٠ علينا ألا نقول شيئا ٠٠ ويجب أن نتعاهد على ذلك !

ـ نعم ٠٠ ولكن تعاهدنا وحـــده لا يكفى ٠٠ يجب ان نكتب هذا التعاهد ٠٠ ونوقع عليه بدمائنا !

فوافق توم على هذه الفكرة ، والتقط من الأرض قطعة من الخشب ·· وكتب عليها السطور التالية :

« **هكلبرى فين وتوم سوير يتعاهدان بألا يقولا شيئا عن الموضوع ·· وليمت أى واحد منهما اذا قال شيئا ·· ! »**

وقام كل منهما بجرح ابهام يده ·· ووقعا على هذا التعهد بالدم ·· ثم قاما بدفن قطعة الخشب المكتوب عليها التعهد فى ركن بجوار الحائط ، وغنيا أغنية حزينة جدا تليق بهذه المناسبة ، ولم يلحظا ان هناك شبحا يتحرك فى الظلام ، عند الجانب الآخر من البيت القديم ·· !

وسمعنا نباحا حزينا أطلقه كلب فى ظلام الليل ، واعتبرا ذلك فألا سيئا ·

وقال توم :

ـ هذا يعنى أن شخصا ما فى خطر ·· !

وما هى الا لحظة بسيطة ·· ثم سمعا صوتا آخر

وقال هك :

ـ ان شخصا ما نائم هناك ..

واتجه الولدان صوب هذا الصوت ، وهناك رأيا شخصا ممدودا على الأرض .. وعندما اقتربا منه ، عرفا أنه موف بوتر يرقد نائما ، ويقف بجواره كلب ينبح بحزن وهو ينظر الى السماء ..

وقال الولدان لبعضهما :

ـ ان موف بوتر فى خطر داهم .. وسوف يموت فورا .. !

وعندئذ افترق الولدان ، وتسلل توم الى بيته من خلال النافذة . وكان أخوه سيد مستيقظا فشاهده ولكن توم لم يشعر بذلك ..

وعندما استيقظ توم فى الصباح ، كان أخـوه سيد غير موجود بالحجـــرة .. وارتدى توم ملابسه بسرعـة ، واتجـا الى الدور السـفلى ، حيث كـانت

العائلة لم تزل جالسة الى مائدة الطعـام بعد أن انتهت من تناول افطارها ..

واندهش توم عندما لاحظ أن جميع افراد العائلة ظلوا صامتين .. ولم يوجه أى واحـد منهم اليه كلمة لوم أو تأنيب .. بل وتجنبوا النظر اليه .. واستمروا هكذا فى صمتهم المخيف ..

وبعد أن انتهي توم من تناول افطاره ، اقتربت منه الخالة بولى وقالت يائسة :

ـ ماذا اصنع بك . .ماذا اصنع .. ؟

فتوسل اليها توم أن تهدأ وتعفو عنه..ووعدها بأنه سيتصرف على نحو أفضل فيما بعد ..

وعندما وصل توم الى المدرسـة ، ضربه المستر دوبينز بسبب تخلفه عن الحضـــور يوم أمس ..

وجلس توم على مقعده حزينا مهموما .. وأخذ

ينظر الى الحائط ويفكر فى حالته البائسة : فقد كانت خالته غاضبة عليه ·· والمستر دوبينز غاصب عليـــه أيضا ·· وهو نفسه يشعر بخوف شديد من ريد جو ·· كل شىء كان معقدا ·· وكل الأمور ليست عـــلى ما يرام ·· !

ولاحظ توم لفافه من الورق موضوعة على الدرج أمامه ·· فتناولها وفتحها فاذا به يجد بداخلها أكرة الباب المصنوعة من المعدن ·· اذن فقد أعادتها بيـــكى اليه · ولم تقبل هديته ،·

ان هذا كثيرا جدا ·· بل أكثر مما يحتمل ·· هذه هى النهاية ·· لقد تحطم قلب توم تماما ··

الفصل الثامن

توم يتكلم أثناء نومه ..!

في اليوم التالى ، كان الجميع يتحدثون عن الطبيب القتيل .. وعن السكين التى وجدت ملقاة على العشب جوار جثته .. وأن هذه السكين تخص موف بوتر الذى بدأ يواجه المتاعب ..

كذلك فقد حدث شيء آخر .. لقد قال أحد الناس انه شاهد موف بوتر يستحم فى النهر وهذا فى ذاته أمر غريب يدعو للدهشة ، فمن المعروف أن موف بوتر لا يستحم ولا يغسل جسمه .. فلماذا اذن حرص على الاستحمام هذا الصباح ؟ .. هل كان يغسل آثار الدماء من يديه ؟ .. من يدرى ؟ ! .. ولكن أين موف بوتر نفسه .. لقد اختفى !

وتجمع العديد من أهالى القرية ، وتوجهوا الى ساحة المقابر ‥ ليروا بأنفسهم المكان الذى كان مسرحا لحدوث هذه الجريمة الفظيعة ‥

وقال احدهم :

ـ سيشنق موف بوتر بسبب ذلك ‥

وعندئذ نظر توم الى وجه ريد جو الذى كان يقف صامتا دون أن تتغير ملامح وجهه . **وهنا صاح شخص آخر :**

ـ ها هو موف بوتر ‥ انه قادم مع المأمور !

وأفسح الناس طريقا للمأمور وهو يقتاد موف بوتر الى المكان الذى توجد فيه جثة الطبيب القتيل . وكان موف بوتر يرتعش خوفا ، ويبدو الحزن فى عينيه ‥

ونظر الى جثة الطبيب وقال :

ـ صدقونى يا أصدقائى ‥ أنا لم أقتله ‥ أنا لم أقتله !

وهنا قال أحد الناس :

ـ ومن ذا الذى اتهمك بقتله ·· هل اتهمك أحد بارتكاب هذه الجريمة ·· ؟ !

ونظر موف بوتر حوله يائسا ، فشاهد زميله ريد جو ··

فصاح به متوسلا :

ـ لماذا فعلت ذلك يا جو ·· ألم تعدنى بأنك لن تخبر أحدا ·· ؟ !

وهنا أمسك المأمور بالسكين التى استخدمت فى القتل ، وعرضها أمام وجه موف بوتر ··

وسأله قائلا :

ـ هل هذه سكينك ·· ؟ !

وفقد موف بوتر كل أمل ، والتفت الى ريد جو ·

وقال له :

ـ أخبرهم يا جو ·· !

وهنا بدأ ريد جو يحكى كذبته الكبرى ·· وسمع



هل هذه سكينك .. ؟!

توم وهك كل كلمة فى تلك الكذبة التى كان ريد جو يلقيها بكل ثبات .. واندهش الولدان كثيرا ولكنهما لم يقولا شيئا .. وصدق جميع الناس أن موف بوتر هو القاتل .. فأرسلوه الى السجن .. أما ريد جو فقد تقدم للمعاونة فى رفع جثة الطبيب القتيل ..

وذات صباح .. بينما كانت العائلة جالسة الى مائدة الافطار ..

قال سيد لأخيه توم :

ـ لقد أصبحت تتقلب كثيرا على سريرك ياتوم .. كما انك تتكلم بصوت عال أثناء نومك ! .. ولهذا فقد أصبحت لا أستطيع النوم وأنت تفعل ذلك .. وأرجو ان تنام هادئا هذه الليلة .. !

وارتعش توم .. وخفض عينيه بسرعة .. ولكن الخالة بولى .. **قالت بكثير من الاهتمام :**

ـ هذه علامة سيئة .. ماذا يزعجك يا توم .؟!

وأخذت يده ترتعش لدرجة انه لم يستطع ان يمسك بها الفنجان **وقال مرتبكا :**

ـ لا أدرى ·· ولا أعرف شيئا ·· !

وهنا واصل سيد حديثه فقال :

ـ انك تقول أشياء مرعبة أثناء نومك ·· فبالأمس كنت تتحدث عن الدم ·· ونطقت كلمة الدم هذه لمرات كثيرة ·· وكنت تقول انك تريد أن تعترف ·· فبماذا تريد ان تعترف يا توم ·· ؟ !

ولم يقل توم شيئا ·· ولزم الصمت تماما ·· ولحسن الحظ أنقذته الخالة بوللى من هذا الارتباك ·· حين قالت :

ـ أوه ·· لا بد انك كنت تحلم بجريمة القتل التى حدثت فى ساحة المقابر ·· انها جريمة مخيفة مرعبة ·· لقد حلمت أنا نفسى بها ·· وتقول مارى انها حلمت أيضا بنفس الشىء ·· !

وفى تلك الليلة ، عندما كان توم يتأهب للنوم ·· أدعى بأن احدى أسنانه تؤلمه ، وطلب من خالته تلف رباطا حول ذقنه ورأسه ·· وفى حقيقة

الأمر فقد طلب توم ان يربط وجهه بمثل هذا الرباط حتى يمنع نفسه من الكلام أثناء النوم ..

ولكن بعد ان استغرق توم فى النوم .. تسلل أخوه سيد وفك الرباط لعله يستمع الى ما يقوله توم أثناء نومه .. ولكن توم لم يقل شيئا فقام سيد بعقد الرباط كما كان ..

وبالتدريج .. بدأ توم فى نسيان تلك المتاعب .. وأصبح لا يتكلم كثيرا أثناء النوم .. وفى بعض الأحيان كان يذهب الى السجن ليعطى بعض الأشياء الى موف بوتر ..

وكان توم حزينا من أجل موف بوتر .. وكذلك كان هكلبرى فين حزينا هو الآخر .. !

الفصل التاسع

قاتل الألم ٠٠!

لم تعد بيكى تاتشر تحضر الى المدرسة لعدة أيام متوالية ٠٠ فأصبح توم حزينـا جدا ٠٠ ونسى كل شيء عن الطبيب القتيل ٠٠

ترى ٠٠ أين ذهبت بيكى ٠٠ هل هى مريضة ٠٠ هل هى تموت الآن ٠٠ كل هذه التساؤلات جعلت توم يعيش حياة غير سعيدة ٠٠ بل لقد تبددت سـعادته نهائيا ٠٠ وأصبحت خالته تظن أنه مريض ٠٠ وبدأت تعطيه أدوية مختلفة ٠٠

وكانت الخالة بوللى تحب جميع أنواع الأدوية ، وتعتقد فى قدرتها على شفاء الأمراض ٠٠ وكان ظهور

أى نوع جديد من الأدوية فى محلات القرية يملأ نفسها بالسرور ..

وكانت الخالة تحب ان تقرأ الموضـــوعات التى تتعلق بشئون الصـــحة والأمراض المختلفة .. وكان لديهـا كثير من الكتب والجـرائد التى تتناول هــذه الموضـوعات بالشرح والوصف .. لذلك كانت تفهم كثيرا فى كل ما يتعلق بشئون النوم والطعام .. بل وكانت تعرف الأنـواع الجيدة من الأقمشـة المختلفة بسبب ما كانت تقرأه عنها فى الكتب .. لقد كانت الخالة تصدق كل شىء ، لأنهاكانت امرأة بسيطة ..

وكان أحدث موضوع قرأته الخالة فى الجرائد ، يتعلق بفوائد استخدام المـاء البارد فى شـفاء بعض الأمراض ..

ولما كان توم ولدا مريضا فى رأيها ، فكان لا بد أن تلقى عليه الماء البارد حتى يشفى .. وكانت تفعل ذلك فى كل صباح .. حيث كانت تطلب منه أن يقف فى الخارج .. ثم تقوم بالقاء الماء البارد عليه .. ثم تلفه فى ملاءة وتضعه على السرير ..

ولكن جميع محاولات الخالة فى هذا الشأن قـد باءت بالفشل ·· وظل توم حزينا كما هو ·· بل وأصبح حزنه يزداد يوما بعد يوم ، وأصـــبح وجهـــه شاحبا ·· فاضطرت الخالة الى استخدام الماء الساخن ·· وجعلت توم يأخذ جماما ساخنا عدة مرات ·· ومع ذلك فلم تتحسن حالته ·· وأتبعت معه الخالة عدة طرق لعــلاج الأمراض ، فلم تسفر أية طريقة عن نتــائج طيبة ·· واصبح توم فى النهاية لا يهتم بأى شيء ·· !

وقبل أن تشعر الخــالة باليأس ·· سمعت عن ظهور نوع جديد من الدواء اسمه « قاتل الألم » ·· فقامت على الفور بشراء كمية كبيرة منه ، وعادت لتجربه على توم ·· وكان الدواء ذا طعم « حراق » للغاية ، يلهب اللسان ، ويجعل الانسان يحس بأن النار قد اندلعت فى فمه ! ·· لذلك فقد كانت الخالة مسرورة جدا عندما أعطت هذا الدواء لتوم ، وجلست بجانبه تنتظر النتيجة ·· !

والغريب أن توم قد أحب هذا الدواء ·· فبمجرد دخوله الى فمه ·· كان يتنطط على الأرض ويقفز فى

الهواء من شدة الحرقان ! ·· وكانت خالته تعطيه هذا الدواء بنفسها يوما وراء يوم ··

وبعد عدة أيام كان توم قد مل هذا النمط من الحياة ، وصمم على احداث بعض التغيير ، لأنه قد أصبح لا يطيق طعم هذا الدواء الحراق · فوضع خطة جديدة ، تظاهر فيها بأنه صار يحب تناول هذا الدواء مرارا ·· وأصبح يطلب من خالته أن تعطيه بعضا من هذا الدواء « قاتل الألم » عدة مرات فى اليوم · وبعد أن تعبت الخالة من كثرة هـذه الطلبات ، سمحت له أن يأخذ الدواء بنفسـه ·· ومع ذلك فقد كانت الخالة تراقب زجاجة الدواء سرا ، وكانت تطمئن عندما تشـاهد الزجاجة وقد تناقص دواؤها يوما وراء يوم ··

ولكن الخالة لم تكن تعلم الحقيقة ·· فقد كان توم يسكب الدواء فى ثقب فى أرضية البيت ولا يتناول منه شيئا ··

وذات يوم ، بينما كان توم يسكب بعض الدواء فى النقب ، شاهد قطة خالته ، وهى قطه مشمشية اللون وظريفة ·· فاستدعى القطة ، وجعلهـا تفتح

فمها ، وصب فيه ملعقة كبيرة مملوءة بالدواء الحراق ..
قاتل الألم .. !

وفى لمح البصر ، قفزت القطة فى الهواء نحو مترين .. وأخذت تموء بطريقة مرعبة .. وأخذت تدور بسرعة فى جميع انحاء الغرفة .. وتغير صوت موائها فأصبح غريبا .. ثم بدأت ترقص على قدميها الخلفيتين بطريقة سريعة جدا ، ثم انطلقت على هذا النحو فى جميع انحاء البيت ، محدثة جلبة وضوضاء عالية .. وقامت بتكسير أشياء كثيرة من حاجيات البيت .. !

وجاءت الخالة بوللى لتعرف السبب فى كل هذه الفوضى التى حدثت فجأة .. وفى نفس اللحظة قفزت القطة المذعورة من خلال النافذة المفتوحة واختفت .. فاندهشت الخالة لأمر هذه القطة .. ونظرت الى توم .. فوجدته مستلقيا على الأرض من شدة الضحك والقهقهة !

وتساءلت الخالة :

ـ توم .. ماذا حدث للقطة ؟ !

فأجاب توم وهو ما زال يضحك :

ـ لا أعرف يا خالتى ‥ لا أعرف ‥

ـ ما الذى جعلهـــا تتصرف على هـذا النحو فجأة ٠ ؟ !

ـ لا أدرى يا خـالتى ‥ وعلى أية حـال فان القطط تفعل ذلك دائما عندما تكون سعيدة !

ـ هاه ‥ هل هذا صحيح ‥ ؟!

وانحنت الخالة ، ونظرت تحت السرير ‥ ورأت الملعقة التى استخدمها توم فى اعطاء القطة بعضا من « قاتل الألم » ٠ وهنا فهمت الخالة كل شىء ، وتوقف توم عن الضحك ‥

وتساءلت الخالة :

ـ ماذا صنعت بتلك القطة المسكينة ‥ ولماذا أعطيتها بعض الدواء ‥ ؟!

فقال توم بخبث :

ـ لقد صعبت على ‥ وكنت حزينا من أجلها ‥

فليس لها خالة تعطيها بعض الدواء ·· لتجعل فمها يلتهب من شدة الحرقان ·· انها قطة مسكينة ·· !!

وهنا رق قلب الخالة ، وعطفت كثيرا على توم ·· فلو كان قاتل الألم قد سبب للقطة كل هذا الهياج من شدة الحرقان ·· فلا بد أنه كان يصنع نفس الشيء لتوم المسكين ·· ووضعت الخالة يدها على رأس توم **وقالت بحنان :**

ـ أعتقد يا توم انك أصبحت لا تحتاج الى تناول الدواء ·· !

وعندما ذهب توم الى المدرسة فى اليوم التالى ، وصل مبكرا ووقف بجانب البوابة منتظرا مجيء بيكى تاتشر ·· وبعد فترة وصل جيف تاتشر وحده دون أن تكون معه أخته ·· وحزن توم من أجل ذلك كثيرا ·· وظل يرقب التلميذات وهن يصلن الى المدرسة واحدة وراء أخرى ·· ولكن بيكى لم تحضر ·· ففقد توم كل أمل في حضورها · وفجأة وصلت بيكى الى المدرسة ·· !!

وبدأ توم يلعب بالقرب منها ·· بل ووقف الى

جانبها وأخذ يتحدث الى الأولاد الآخرين حتى يلفت نظرها اليه. ولكنها تجاهلته تماما .. فاضطر توم الى أن يجرى ويدور حولها .. ثم خطف قبعة أحد الأولاد وألقى بها فوق السقف ، لعلها تلتفت اليه .. دون جدوى ..

وأخيرا ابتعد توم عن بيكى بضع خطوات .. ثم تراجع نحوها وهو يسير بظهره .. الى أن سقط على الآرض قرب قدميها .. فاستدارت بيكى الى الخلف ، ورفعت أنفهـا نحو السماء ، وابتعدت عنه بكبرياء شديدة .. !

واضطر توم الى الانصراف بهدوء .. !

الفصل العاشر

القراصنة ..!

أصبح توم حزينا يائسا . فبيكى لم تعد تحبه .. وليس لديه أصدقاء .. وانتابه كثير من الغضب بعد أن تبين له انه يصنع كثيرا من الأعمال الجيدة ، ولكن أحدا لا يهتم به .. لذلك فقد قرر توم ان يحيا حياة شريرة ..

وعلى هذا الأساس فقد ذهب توم نحو المنطقة الريفية ، وأخذ يتجول بين الحقول .. وتطرق الى سمعه صوت رنين جرس المدرسة آتيا من بعيد ، فلم يهتم ، بل قال فى سره انه لن يعود لسماع صوت هذا الجرس مرة أخرى .. وطفرت من عينيه دموع قليلة وهو يقول

لنفسه انهم دفعوه دفعا لكى يعيش الحياة الشريرة فى هــذا العـــالم البارد .. ومع ذلك فهو يعفو عنهم جميعا .. !

وفى تلك ـــديقه جو هاربر .. وقال ـربته لأنه قد سرق شيئا .. ولكنها كانت قاسية لأنه لم يسرق أى شىء ، وربما ضربته لسبب آخر .. وقال أيضا ان أمه لم تعد تحبه وطردته من البيت .. ومع ذلك فهو يغفر لها لأنه يحبها ويتمنى أن تعيش سعيدة بدونه ..

وسرعان ما تعاهد توم وصديقه جو هاربر على أن يعملا معا .. وقاما على الفور بوضع بعض الخطط السريعــة .. واقترح تــوم أن يدخلا معــا الى عالم الجريمة .. وراقت هذه الفكرة لنفس جو هاربر ووافق عليها بشدة .. وعلى هذا تعاهد الولدان على أن يصــبحا قراصنة !

وكانت هناك جزيرة صــــغيرة بالقرب منهما .. تقع فى مجرى نهر المسيسبى .. جزيرة منعزلة اسمها





وابحروا . الى جزيرة جاكسون !

جزيرة جاكسون ·· ننبت فيها أشجار كثيرة ، ولكن لا يعيش فيها أحد ··

وقال توم لصاحبه :

ـ هناك سوف نلتقى ·· وسنقيم معسكرنا السرى في تلك الجزيرة ·· وسأذهب الآن لاستدعاء هكلبرى فين ·· !

ووافق جو هاربر على كل ذلك ·· وذهب توم ليناقش الموضوع مع هك ، الذى وافق بدوره على الفكرة ، لأن كل الأشياء لديه سواء ·

وتجمع الأولاد الثلاثة ، وقاموا بسرقة بعض الطعام وجلسوا يتناولونه على شاطىء النهر ·· وشاهدوا « طوفا » صغيرا مربوطا بجوار الشاطىء ، فسرقوه ·· وركبوه ·· واتجهوا مبحرين نحو الجزيرة ··

وقف توم فى منتصف الطوف ، وأخذ يصدر أوامر وتعليمات الابحار مثل قباطنة السفن ·· الى أن وصلوا الى شاطىء الجزيرة ·· وكان ذلك فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ··

وعلى الفور قاموا باشعال بعض النيران ، وبدأوا يستمتعون بوقتهم ·· وأعدوا لأنفسهم وجبة شهية ··

وقال توم لصاحبيه :

ـ هذه هى الحياة الحقيقية ·· لن يجبرنا أحد على الاستيقاظ مبكرا ·· ولن نذهب الى المدرسة ·· ولن نحتاج أبدا الى غسل وجوهنا ·· !!

فقال هك موافقا :

ـ نعم ·· فالقراصنة لا يصنعون أبدا مثل هذه الأشياء ·· ولكن ما هو عمل القراصنة بالتحديد ·· ؟!

قال توم على الفور :

ـ أوه ·· انهم يستولون على السفن ويحرقونها ·· ويحصلون على كل ما بتلك السفن من أموال ·· ثم يقومون بدفن تلك الأموال فى أماكن غريبة فى جزيرتهم ·· وهناك أرواح كثيرة تعيش فى الجزر قرب الأماكن التى تدفن فيها هذه الكنوز ، لتتولى حراستها ·· !

وتوقفت مناقشات الأولاد عند هذا الحد ·· فقد كانوا متعبين وبدأوا يفكرون فى النوم ·· وطرأت على أذهانهم أفكار كثيرة ·· فكروا مثلا فى أن الهرب من البيت يعتبر من الأخطاء الكبيرة ·· وأن السرقة تعتبر جريمة قبيحة ·· ولا يجوز لأحد أن يرتكبها ·· لذلك فقد صمموا على ألا يقوموا بالسرقة مرة أخرى ··

وأخيرا ·· غلبهم النعاس واستغرقوا فى النوم··

الفصل الحادى عشر

زيارة غير عادية ..

وفى صباح اليوم التالى ، لاحظ الأولاد الثلاثة أن « الطوف » الذى حملهم الى الجزيرة قد اختفى .. لقد جرفه تيار النهر وقذف به الى حيث لا يعلمون .. ومع ذلك فلم يهتموا بهذا الأمر .. واصطادوا بعض الأسماك وأشعلوا نارا وشووها .. وتنـاولوا افطارا شهيا .. !

وبعد أن انتهى هكلبرى فين من تدخين غليونه .. قام القراصنة الثلاثة بالتجول فى أنحاء جزيرتهم .. وكانوا يسبحون فى ماء النهر كل ساعة .. الى أن تعبوا من كثرة السباحة ، فعادوا الى معسكرهم فى العصر ..

وتناولوا غداءهم وجلسوا صامتين ·· كانوا يفكرون فى بيوتهم التى تركوها ·· ولكن أحدا منهم لم ينطق بكلمة ··

وبعد فترة طويلة من الصـــمت ، سمعوا جلبة وأصوات بعض الناس تأتى من ناحية النهر ، فقاموا من جلستهم ليتبينوا الأمر ··

ومن بعيد ، رأوا بعض القوارب وعليها عدد من الناس ، وكان مأمور القرية راكبا فى أحد هذه القوارب·

وهنا قال توم :

ــ انهم يبحثون عن جثة غريق ·· لا بد أن أحد الناس قد غرق فى النهر ومات ··

فقال هك مؤيدا فكرة توم :

ــ هذا صـحيح ·· فقد فعلوا نفس الشئ فى الصيف الماضى ، حين غرق بيل تيرنر ·· وقد أخرجوا جثته من النهر ·· ولكن من يا ترى غرق الآن ويبحثون عن جثته ·· ؟!

لا أحد يعرف ·· لهذا فقد ظل القراصنة الثلاثة يتفرجون على عملية البحث التى يقوم بها الرجال الذين يركبون القوارب ·· الى أن **صاح توم فى النهاية :**

ـ آه ·· لقد عرفت ·· انهم يبحثون عنا ·· لقد ظنوا أننا متنا وغرقنا فى النهر ··.وهم الآن يبحثون عن جثثنا ··

وهكذا دخل السرور الى قلب الأولاد ·· بعد أن أصبحوا محل اهتمام الناس بما فيهم المأمور ومن معه من الرجال الذين يبحثون عن جثثهم ·· ومن الضرورى أيضا أن بعض الناس فى القرية كانوا يبكون حزنا بسبب اختفاء الأولاد دون أن يتركوا أى أثر ··

وقبيل المساء انتهت عملية البحث الى لا شىء ·· وعادت القوارب بمن عليها الى القرية ·· وعاد القراصنة الثلاثة الى معسكرهم ·· واصطادوا بعض الأسماك وشووها وتناولوا عشاءهم وهم يتحدثون فى قلق ·· فقد أخذوا يتذكرون جميع من فى القرية من رجال ونساء وأولاد ·· فامتلأت قلوبهم بالحزن والأسى ·· **لدرجة ان جو تساءل قائلا :**

ـ هل يجب علينا أن نعود الى بيوتنا ·· ؟!

فضحك توم كما ضحك هك أيضا عند سماع هذه الفكرة ·· وعندما حل ظلام الليل ، نام هك ونام جو ، وبقى توم مستيقظا ··

وبعد أن تأكد توم من استغراقهما فى النوم ·· تسلل بهدوء بين الأشجار الى أن وصـــل الى شاطىء الجزيرة ، ونزل الى النهر وأخذ يســبح الى القرية التى تقع على الشاطىء الآخر ··

وفى الساعة العاشرة والنصف مساء ·· وصـل توم الى القرية ، واتجه مباشرة وبهدوء الى بيت خالته ، ووقف فى الحديقة ··

كانت هناك شمعة تضىء احدى الحجرات ·· ورأى توم خالته بوللى وأخاه سيد وابنة عمه مارى ·· كما رأى مسز هاربر أم جو جالسة معهم ·· كانوا جميعـا يتحدثون فى حــزن ، ولذلك لم يروه أو يتنبهوا الى وجوده ، وهو يتسلل بهدوء على أطراف قدميه الى داخل البيت ، وسرعان ما اختبأ تحت السرير ··

وكان توم قد نسى أن يغلق الباب بعد دخوله ، فظل الباب مفتوحا ، ودخل من خلاله هواء شديد أخذ يتلاعب بشعلة الشمعة ·

فقالت الخالة بوللي :

ـ ان الريح ستطفىء الشمعة ·· آه ·· ان الباب مفتوح ·· أغلقه يا سيد من فضلك ·· آ

فقام سيد وأغلق الباب ، وعاد الى الجلوس على مقعده من جديد ·· **واستمرت الخالة فى الحديث :**

ـ كنت دائما أقول أن توم ليس ولدا سيئا ·· لقد كان له قلب طيب ·· ولكنى كنت أعاقبه أحيانا ··!

وعلى الفــور انهمرت الدموع من عينيها وأخذت تبكى بصوت منخفض · وبدأت مسز هاربر أم جو فى البكاء أيضا **وهى تقول :**

ـ كم كان ابنى جو عطوفا نحوى ·· كان يسرق بعض الأشياء أحيانا ·· وكنت أعاقبه على ذلك ·· وفى أحيان كثيرة كان لا يسرق شيئا ·· ولم أكن على صواب حين ضربته بقسوة ·· !

وهنا قال سيد :

ـ لم يكن توم ولدا طيبا ·· آ

فصاحت الخالة فيه :

ـ اياك أن تقول كلمة ضد ابني توم ·· كنت أحبه وأرتاح اليه ·· ولكنني غضبت منه عندما أعطى قطتي بعضا من الدواء المســـمى « قاتل الألم » ·· انى أصلي لأطلب من الله المغفرة ويعفو عني ·· لقد مات توم الآن وانتهت جميع متاعبه ·· !

وانفجرت الخالة في البكاء بصوت مرتفع ، وأخذت تنوح وهي تخفي وجهها بيديها ·· وعلى الفور بدأ الجميع في البكاء والنواح فيما عدا سيد الذي ظل صامتا ·· بل لقد كاد توم نفسه أن يبكي وينوح بدوره وهو مختبيء تحت السرير ·· ولكنه آثر أن يظل ساكنا لينصت الى الحديث الحزين الذي كان يدور في الغرفة ··

وفهم توم من الحديث أن الأهالي قد اعتقدوا في البداية أن الأولاد كانوا يسبحون في النهر ·· ولما لم يعودوا الى بيوتهم في الوقت المناسب ، ظن الجميع ان

الأولاد قد غرقوا وماتوا ·· ولكن عندما تبين للأهالى أن « الطوف » قد اختفى ، ظنوا جميعا أن الأولاد قد اختطفوا الطـوف وذهبـوا ·· الى أن عثر بعضهم على الطوف فى مكان بعيد فى النهر بعد أن جرفه التيار ، فعادوا جميعا الى الظن بأن الأولاد قد غرقوا ، ويجب البحث عن جثثهم ··

وقالت الخالة بوللى بحزن شديد :

ـ سنعمل جنازاتهم يوم الأحد القادم ·· !

وعاد البكاء والنواح من جديد ·· وقامت أم جو وخرجت من البيت وهى ما زالت تبـكى بحـرقة ·· وتوجهت الخالة بوللى الى سريرها لتنام ··

وعندما تأكد توم من أن خالته قد اسـتغرقت فى النـوم ، خرج من تحت السرير ، ومشى على أطراف قدميه ، واتجه الى سرير خـالته ، وانحنى ، وقبـل جبهتها فى حب وحنان ·· ثم تسلل بهدوء وخرج من البيت ··

واثنـــاء عودته الى معسكر القراصـــنة ، كان توم يفكر في الجنازات التى ستعقد يوم الأحد القادم ..

وقال لنفسه :

يجب انَ أتذكر جيدا هذا الميعاد .. !!

الفصل الثانى عشر

القراصنه يشعرون بالوجدة ۰۰!

أخذ الأولاد يلعبون على رمال الشاطىء ۰۰ وسبحوا في النهر عدة مرات ۰۰ وعندما حل التعب بأجسادهم ، تمددوا راقدين فوق الرمال الدافئة ۰۰ وأخذوا ينظرون الى قريتهم التى تبدو بعيدة على الشاطىء الآخر ۰۰

وكتب توم على صفحة الرمال كلمة « بيكى » وأخذ ينظر اليها ، ولكنه سرعان ما غضب من نفسه لأنه فعل ذلك ، فمحا الكلمة بسرعة ۰۰ ثم عاد وكتبها من جديد ۰۰ !

كان جو يريد ان يعود الى بيته ۰۰ وكان هك

لا يبدو سعيدا وهو يشعر بالوحدة فى هـذا المكان المنعزل .. كما أن توم كان يريد أن يعود الى القرية ليرى بيكى ، ولكنه كان يخفى ذلك .. وأخيرا قال جو مترددا :

ـ أريد أن أعود الى البيت .. فهذا المكان شديد العزلة .. !

فقال توم على الفور :

ـ انتظر .. سوف تصبح سعيدا فيما بعد .. ويمكننا الآن أن نصطاد بعض السمك ..

ـ لا .. لا أريد سمكا .. أريد ان أعود الى البيت .. !

ـ فى امكانك أن تسبح كما تريد .. !

فقال جو بلا تردد :

ـ لم أعد أحب السباحة .. لأن أحدا لم يعد يمنعنى عنها .. !

ـ معنى ذلك انك لم تزل طفلا صغيرا يريد ان يعود الى البيت ليرى أمه ٠٠ !

ـ نعم ٠٠ أريد ان أرى أمى ٠٠ ولكنك بلا أم ولا تعرف هذا الشعور ٠٠ ثم انى لست طفلا مثلما تقول ٠٠ !

فقال توم موجها حديثه الى هك :

ـ ما رأيك يا هك ٠٠ سندع هذا الطفل الصغير يعود الى البيت ليبقى بجوار أمه ٠٠ أما انت فستبقى معى ٠٠ أليس كذلك ٠٠ ؟ !

فقال هك وملامح الشك تبدو جلية فى وجهه :

ـ ن ٠٠ ع ٠٠ م ٠٠ !!

وهنا وقف جو ، وبدأ يرتدى ملابسه ٠٠

وقال له توم :

ـ أى نوع من القراصنة أنت ؟ ٠٠ سنحيا أنا وهك كقراصنة بدونك ٠٠ !

ولم يرد جو ، بل واصل ارتداء ملابســه ٠٠
وكان هك يراقبه وهو حزين ، ولكنه لم ينطق بكلمة ٠
وبدأ توم يشعر بالقلق حين انتهى جو من ارتداء ملابسه
وبدأ يأخذ طريقه نحو شاطىء الجزيرة ٠٠

وهنا قال هك بدون تردد :

ــ وأنا أيضا أريد ان أعود الى القرية ٠٠ فهذا
المكان منعزل وسيصبح بعد رحيل جو أكثر وحشة من
قبل ٠٠ تعال معى يا توم ٠٠ سنعود سويا ٠٠ !

فقال توم على الفور :

ــ أنا لن أعود ٠٠ ويمكنك أن تذهب انت أيضا
اذا كنت تريد ذلك ٠٠ أما أنا فسأبقى هنا وحدى ٠٠!

وبدأ هك يرتدى ملابسه ٠٠ ويتجه بدوره نحو
شاطىء الجزيرة ، وترك توم واقفا وحده فى المعسكر ٠٠
وفى الحقيقة كان توم يريد أن يعود مع صاحبيه الى
القرية ، ولكن كبرياءه كانت تمنعه من ذلك ، وأخذ
ينظر الى صاحبيه وهما يتأهبان لمغادرة الجزيرة ، وقلبه

مملوء بالحزن ‥ ولكنه على حين فجأة تذكر خطته السرية ، فقفز فرحا ونادى على صاحبيه بأعلى صوته ٠

ـ انتظرا ‥ انتظرا ‥ أريد أن أخبركما بشيء هام ‥ !!

توقف الولدان ، ونظرا الى الخلف ‥ وأخذ توم يجري نحوهما بأقصى سرعة ، وأخبرهما بخطته السرية بالتفصيل ٠ وفى الحال انفجر الولدان فى الضحك وتهلل وجهاهما بالسرور ، وقالا لتوم انها خطة طريفة مدهشة ‥ وفى خلال دقيقة واحدة ، كان الثلاثة يأخذون طريقهم عائدين الى المعسكر ‥

وبعد أن تناولوا غداءهم ، أبدى كل من توم وجو رغبته فى التدخين ‥ فأعد لهما هك البايب وملأه بالطباق ‥ وجلسوا جميعا يدخنون بشغف ‥

وقال توم :

ـ لم أكن أعلم ان التدخين سهل الى هذا الحد ‥ !

وقال جو :

ـ يمكنني أن أدخن هذا البايب طول النهار ولا أشعر بالدوخه ٠٠ !

كان توم وجو يدخنان لأول مرة ٠٠ وتطرق بهما الحديث الى ذكريات المدرسة والأولاد الآخرين من أصدقائهما ٠٠ وكان يتخلل الحديث فترات صمت قصيرة أخذت تطول رويدا الى أن حل بهما الصمت تماما وبدأ يشعران بالدوخة ، وشحب لون وجهيهما وأخذا يتصببان عرقا ٠٠

وتحامل جو على نفسه ، فقام ٠٠ **وقال بصوت واهن ضعيف :**

ـ يبدو أنى قد فقدت سكينى ٠٠ سأذهب للبحث عنها ٠

وكان توم يرتعش فى هذه اللحظة ، بل وكان يتمنى ان يموت من شدة الدوخة ، ولكنه تحامل على نفسه ٠٠ **وقال لجو :**

ـ سأعاونك في البحث عنها ·· ولتذهب انت الى هذه الناحية ·· وسأذهب أنا الى الناحية الأخرى ·· أما أنت يا هك ·· فلا داعى أن تذهب معنا ··

وجلس هك وحده ينتظر لمدة ساعة أو أكثر الى أن بدأ يشعر بالوحدة ، فقام ليبحث عن صديقيه الى ان عثر على توم نائما تحت شجرة ، وعثر على جو نائما تحت شجرة أخرى ·· وتأكد هك من أن صديقيه يعانيان من شدة المرض والدوخة ··

وعندما كان الأولاد يتناولون عشاءهم فى الليل·· لم يتبادلوا فيما بينهم سوى كلمات قليلة ·· وبعد انتهاء العشاء بدأ هكلبرى فين يعد البايب ويملأها بالطباق استعدادا للتدخين ·· وعندما عرض على صاحبيه أن يشاركاه فى التدخين ، رفضا بشكل حاسم ، وقالا انهما ليسا على ما يرام ·· !

الفصل الثالث عشر

العاصفة ..!

في منتصف الليل استيقظ جو عندما رأى أشياء غريبة تحدث أمامه .. وعلى الفور أيقظ جو الولدين الآخرين ..

كانت الجزيرة غارقة في ظلام دامس ، فيما عدا المكان المجاور للنار التي كانوا قد أشعلوها قبل النوم.. وفجأة ظهر ضوء مبهر واختفى في لحظة .. ولكن الضوء كان شديدا جدا لدرجة انهم شاهدوا جميع أشجار الجزيرة بوضوح تام ..

وقبل أن يلتقط الأولاد أنفاسهم .. ظهر الضوء مرة أخرى ، ثم مرة ثالثة وملأ السماء كلها .. وفجأة

دوى الرعد فى كل أركان الجزيرة ·· وتساقطت على الفور بضع قطرات من المطر ، أحدثت صوتا مرعبا بين أوراق الشجر ·· وهبت ريح لطيفة ولكنها بدأت تزمجر ··

وملأ البرق صفحة السماء ، وارتفع صوت الرعد حتى أوشك أن يصم الآذان ·· وبدأ الأولاد يشعرون بالخوف ·· وكانت الخيمة التى أقاموها بعيدة عن المكان الذى يقفون فيه ·· **لذلك صاح توم :**

ـ هيا ·· فلنذهب الى الخيمة بسرعة !

وانطلقوا مسرعين تجاه الخيمة ، مسترشدين بضوء البرق ·· وعندما وصلوا اليها كانت جميع ملابسهم مبتلة ·· ودخلوا الى الخيمة وجلسوا صامتين ·· وحاولوا أن يبدأوا أى حديث ولكن ضوضاء الرعد كانت تمنعهم من ذلك ··

وفجأة ، بدأت الرياح تهب فى عنف ، وانهمرت الأمطار بشدة ، وازداد برق السماء ·· ودون أن

يعرفوا كيف تم ذلك ، اقتلعت الرياح خيمتهم من أساسها ، وأطارتها فى الهواء .. !

أصبحوا الآن فى العراء بلا مأوى .. فلاذوا بالفرار تجاه شجرة ضخمة قرب الشاطىء لعلهم يجدون الحماية قربها .. ولكنهم وجدوا الشجرة ـ مثل بقية الأشجار الأخرى ـ تنحنى وتهتز بعنف وهى تواجه هبوب الرياح .. بل وكانت بعض الأشجار الكبيرة لا تقوى على مواجهة الريح ، فتسقط على الأرض محدثة دويا هائلا يسبب مزيدا من الرعب !

وظلت العاصفة مستمرة لفترة طويلة ، اختلط فيها البرق والرعد والمطر والريح مع صوت الأشجار وهى تتمايل وتتهاوى وتتكسر .. الى أن هدأت العاصفة فى نهاية الأمر .

وبعد أن سكن كل شىء ، اتجه الأولاد الثلاثة نحو معسكرهم .. وفوجئوا بأن المكان قد أصبح مختلفا تماما .. فالشجرة الضخمة التى كانوا ينامون قربها قد انكسرت وسقطت على الأرض ، وغطت فروعها المكان كله .. كما أن كل شىء بالمعسكر كان مبتلا .فيما

عدا بعض الأخشاب الصغيرة التى كانت قرب النار ·· أما ملابسهم فكانت فى حالة يرثى لها ، وغارقة تماما فى مياه المطر ·· كما أن الخيمة بعد أن طارت فى الهواء ، استقرت فى مكان آخر ·· وبطبيعة الحال فقد انطفأت النار ، وأصبح المعسكر كله ينير فى نفوس الأولاد كثيرا من الخوف والحزن والاسى ··

وحاولوا أن يشعلوا نارا جديدة ، ففشلوا لأن كل أفرع الشجر والأعشاب وقطع الخشب الصغيرة كانت مبتلة ولا تصلح لايقاد النار ··

وبعد بحث طويل شاق ·· استطاعوا العثور على بضع أخشاب جافة قليلة كانت تحت مكان كانوا قد أشعلوا فيه نارا سابقة ·· وبهذه الخشيبات الصغيرة ، استطاعوا ان يشعلوا نارا كبرى ·· وأخذوا يجففون عليها ملابسهم ·· كما صنعوا لأنفسهم وجبة شهية ·· ولكنهم لم يستطيعوا النوم فى تلك الليلة ، لأن كل شيء كان مبتلا ·· بل غارقا بمياه المطر ··

وعندما أشرقت الشمس فى صباح اليوم التالى·· تمدد الاولاد الثلاثة وناموا على الرمال ·· ولكنهم

استيقظوا عندما ارتفعت الشمس فى كبد السماء ، وأصبح الجو حارا ، كما أصبحت الرمال ساخنة ..

وتناول الأولاد افطارهم دون أن يتكلموا .. ولاحظ توم وجه هك ووجه جو وهما يكتسيان بملامح الحزن .. فحاول أن يسرى عنهما .. وأخذ يذكرهما بالخطة السرية التى اتفقوا عليهــا .. وبالفعل فقد ضحك الأولاد بضع ضحكات قليلة ، واستمتعوا ببعض الألعاب ..

ثم جلسوا على الأرض ، وأخذوا جميعا يدخنون البايب .. وفى هذه المرة ، لم يشعر توم ولا جو بأعراض الدوخة ...!

الفصل الرابع عشر

الجنازات ..!

أصبحت بيكى تاتشر لا تشعر بالسعادة .. وعندما كانت تذهب الى المدرسة ولا تجد توم بين الأولاد كان قلبها يمتلىء بالحزن ، وتشعر بوحدة قاسية ..

تذكرت بيكى أكرة الباب المعـــدنية التى أهداها اليها توم ، ولكنها رفضت الهدية وأعادتها اليه .. انها الآن بلا أكرة ! ..

وقالت بيكى لنفسها :

– لن أراه بعد الآن .. لن أراه أبدا !! ..

ثم بدأت تبكى فى هدوء قرب أحد أركان حجرة الدراسة ..

وجاء بعض الأولاد والبنات ووقفوا بجوار سور المدرسة ، وأخذوا يتحدثون عن توم ٠٠ وكانت بيكى تتصنت الى حديثهم ٠٠

وقالت احدى البنات :

ـ هل تذكرون كم كانت ابتسامته جميلة وسعيدة ٠٠ ؟!

وقالت بنت أخرى :

ـ لقد وقفت مرة بجانبه ٠٠ تصوروا ٠٠ بجانبه تماما ٠٠ وابتسم لى فأحسست بشىء غريب ٠٠ ولكنه ٠٠ ولكنه الآن قد مات ٠٠ هذا شىء مخيف ومفزع ٠٠ !

وقال أحد الأولاد :

ـ من منكم رآه لآخر مرة ٠٠ ؟

وعندما قال أحد الأولاد انه رأى توم آخر مرة قبل أن يختفى ، أصبح هذا الولد فجأة على درجة كبيرة من الأهمية ٠

وفى القرية ٠٠ كان جميع الناس يتحدثون عن

الأولاد الغائبين ·· باعتبارهم قد ماتوا غرقا ·· وفى صباح اليوم التالى ، قرعت أجراس الكنيسة بدقات بطيئة حزينة ·· سمعها كل الناس فى القرية ·· وكل الفلاحين الذين كانوا يعملون فى الحقول المحيطة ·· وسمعتها أيضا بيكى تاتشر فازدادت حزنا ·· !

اليوم ·· ستعقد الجنازات ·· وستقام الصلوات على أرواحهم ·· وتجمع الناس مع بعضهم وصاروا يتحدثون همسا ·· وهم يتجهون صوب الكنيسة التى امتلأت عن آخرها بالمعزين ··

ودخلت الخالة بوللى ومعها سيد ومارى ·· ثم دخلت مسز هاربر ـ أم جو ـ ومعها كل أفراد عائلتها ·· وكانوا جميعا يرتدون ملابس الحداد السوداء ·· وعلا الحزن وجوه جميع من كانوا بالكنيسة ··

وبدأت الأناشيد والتراتيل الحزينة ·· وكان الناس يفكرون فى المصير المؤلم الذى آل اليه هؤلاء الأولاد المساكين ·· لقد كانوا أولاد طيبين عندما كانوا أحياء ·· أو على الأقل كانوا لا يزيدون سوءا عن غيرهم

من الأولاد الآخرين ·· وعلى أية حال فقد مات هؤلاء الأولاد وانتهى أمرهم ·· وهذا فى حد ذاته أمر محزن بجميع المعايير ··

وبدأت بعض النساء والفتيات فى البكاء والأنين ·· الخالة بوللى ·· ومارى ·· ومسز هاربر ·· وبعض النسوة الأخريات ·· ومن المحزن حقا ·· أنهن كن يحاولن الاشتراك فى انشاد التراتيل الحزينة ويبكين فى نفس الوقت ·· !

وهكذا جلل الحزن كل أرجاء الكنيسة ، ولم يعد يتردد فيها صوت سعيد واحد ، أو يرى فيها وجه تبدو على ملامحه سيماء السعادة ·· !

وفجأة سمع الناس صوتا يأتى من آخر القاعة ، فالتفتت جميع الوجوه والعيون الى مصدر الصوت ·· وبالرغم من أن الجميع كانوا منهمكين فى انشاد التراتيل ، الا أن عيونهم قد انفتحت عن آخرها ، وفغروا أفواههم فتوقف الترتيل من شدة الدهشة ··

لقد رأوا الأولاد الثلاثة يدخلون الى القـــاعة ٠٠ يتقدمهم توم ومن بعده جو ثم هكلبرى فين ٠٠ !!

اذن ٠٠ فالأولاد لم يموتوا ٠٠ ومازالوا أحياء وعمت الكنيسة صيحات الدهشة ، وصيحات الفرح ٠٠ !

اندفعت الخالــة بوللى ومــارى نحو تــوم ٠٠ كما اندفعت مسز هاربر نحو ابنها جو ٠٠ وكن جميعا يصحن فرحا ، ويقبلن الولدين قبلات سريعة حنون ٠٠ ولكن هك المســكين وقف وحيــدا ٠٠ ولم يتقــدم اليــه أحد ليقبله ٠٠ !

عندئذ قال توم لخالته بوللى :

ـ خالتى ٠٠ أليس هناك أحد يسعد من أجل هك ٠٠لقد عاد معنا ٠٠ !

وفى الحــــال تقدمت الخالــة نحــو هــك وقبلته و « طبطبت » على ظهره وكتفه ٠٠ ولكنه لم يشعر مع ذلك بالســعادة ٠٠ فقد كان يحس فعلا بأنــه وحيد فى هذا العالم ٠٠

كانت هذه المفاجأة هى الخطة السرية التى وضعها توم ووافق عليها كل من هك وجو ·· أن يعودوا جميعا الى القرية فى نفس اليوم الذى ستقام فيه الصلاة على أرواحهم ··

وفى الليلة الماضية ، نام الأولاد فى مكان يقع خارج القرية ، وعندما اشرقت الشمس ، ذهبوا الى الكنيسة واختبأوا فى أحد أركانها ، واكملوا نومهم حتى أيقظهم قرع الأجراس الحزينة ·· ثم كان بعد ذلك كل شىء ·· !

وفى صباح اليوم التالى ـ يوم الاثنين ـ جلس توم الى مائدة الافطار ·· وكانت خالته ومارى شديدتى العطف عليه ·· وقدمتا اليه افطارا شهيا ··

ولكن الخالة بوللى قالت لتوم معاتبة :

ـ توم ·· لقد اعتقدت فعلا بأنك قد مت ·· وحزنت عليك كثيرا ·· ألا تعرف ذلك ·· لماذا لم ترحنى من هذا العناء ·· لماذا لم تحضر الى لتخبرنى بالحقيقة ·· ؟!

فقالت مارى :

ـ ان توم لا يهتم بمشاعر الآخرين !

فقال توم على الفور :

ـ ولكنـــك تعرفين يا خالتى انى أهتم بمشاعرك واحساساتك ٠٠ لقد حلمت بك ٠٠ ألا يكفى ذلك ؟

فقالت الخالة راضية :

ـ حلمت بى ؟ ٠٠ ان هذا أفضل من لا شىء على أية حال ! ٠٠أخبرنى بماذا حلمت ٠٠ !

وبدأ توم فى سرد روايته ٠

وقال :

ـ فى ليل الأربعاء الماضى ٠٠ حلمت بأنك كنت جالسة بالحجرة جوار السرير ٠٠ وكان سيد جالسا على الصندوق ٠٠ وكانت مارى تجلس بجواره ٠٠

فقالت الخالة :

ـ هذا صحيح ٠٠ كنا جالسين على هذا النحو ٠٠ ولكننا نفعل ذلك دائما ٠٠ وماذا بعد ٠٠ ؟

اضاف توم :

ـ لقد حلمت أيضا أن أم نجو هاربر كانت جالسة معكم فى نفس الحجرة ..

عندئذ صاحت الخالة :

ـ هل حقا حلمت بذلك .. هذا صحيح .. هذه هى الحقيقة .. لقد كانت مسز هاربر جالسة معنا !! .. هل حلمت بشىء آخر .. ؟!

ـ نعم .. نعم .. انى أحاول أن أتذكر هذا الحلم الغامض .. !

وقالت الخالة فى لهفة :

ـ حاول أن تتذكر يا توم .. حاول أن تتذكر ..

ـ آه .. لقد تذكرت .. أظن أن رياحا خفيفة كانت تهب .. فتراقصت شعلة الشمعة وكادت تنطفىء !

ـ نعم هذا صحيح .. مدهش .. استمر يا توم !

ـ وأظن أنك قلت ياخالتى .. آه .. ماذا قلت ..

دعيني أتذكر ·· آه ·· لقد قلت ان الباب مفتوح ·· !

وصاحت الخالة مرة أخرى :

ـ نعم ·· هذا صحيح ·· لقد قلت ذلك بالضبط ·· أليس كذلك يا ماري ؟ ·· استمر يا توم ·· هذا شيء مدهش ورائع !

ـ وأظن ·· وأظن ·· وأظن ··

ـ هاه يا توم ·· حاول أن تتذكر ··

ـ أظن أنك قلت لسيد : اغلق الباب من فضلك يا سيد ·· !

ـ نعم ·· لقد قلت ذلك بالضبط ·· انى لم أسمع عن مثل هذا الحلم طول حياتي ·· ويجب أن أحكيه لمسز هاربر بنفسي ·· استمر يا توم ·· وماذا بعد ·· ؟!

فقال توم على الفور :

ـ لقد أصبح الحلم واضحا الآن ·· وأظن انك قلت أيضا أنني لم أكن ولدا سيئا ··

ـ نعم قلت هذا .. ماذا بعد ؟

ـ بعد ذلك أجهشت بالبـــكاء .. وبدأت مسز هاربر تبكى هى الأخرى .. وقالت أن جو لم يكن ولدا سيئا .. وقالت انها ضربته بقسوة واعترفت بخطئها فى ذلك .. وأظن أن سيد قال ..

وهنا تدخل سيد في الحديث وقال بحسم :

ـ أنا لم أقل شيئا .. !

وتدخلت مارى بدورها وقالت :

ـ نعم .. لقـــد قلت شـــيئا يا سيد .. لقد قلت ....

فصاحت بهما الخالة وطلبت السكوت .

وقالت لهما :

ـ الزما الصمت الآن .. لندع توم يستمر ..

وقال توم :

ـ لقد قال سيد انى لست ولدا طيبا فى كثير من الأحيان ..

فصاحت الخالة :

ـ بالضبط ·· بالضبط ·· كانت هـــذه نفس الكلمات ·· !

ـ وعندئذ ·· نبهت عليه يا خالتى ألا يتـــكلم ضدى بمثل هذه الكلمات ··

ـ طبعا ·· لقد فعلت ذلك !

ـ وبعد ذلك ·· أخذتم تتحدثون عن « طوف » من الأطواف التى تستخدم فى النهر ·· ثم حددتم يوم الأحد لاقامة الصلاة على أرواحنا ·· وبعد ذلك انصرفت مسز هاربر وهى تبـــكى ·· وكنت أنت أيضا تبكين ياخالتى ·· الى أن ذهبت الى سريرك واســـتغرقت فى النوم ·· وعندئذ جئت أنا وقبلتك !

فقالت الخالة فرحة :

ـ هل قبلتنى حقا ·· انك ولد عطوف يا توم ·· لقد غفرت لك كل شىء ··

وقال سيد مغتاظا :

ـ لقد كان عطوفا فى الحلم فقط ·· !

ولم يقل سيد بعد ذلك شيئا .. ولكنه استغرق في التفكير في هذا الحلم المدهش .. انه حلم طويل أكثر من المعتاد .. وليس فيه غلطة واحدة .. هذا شيء غريب حقا .. !

الفصل الخامس عشر

الغيوران ..!

ذهب الأولاد الى المدرسة .. وذهبت الخالة بوللى الى بيت مسز هاربر لتخبرها عن هذا الحلم الغريب الذى رآه توم ..

وشعر توم بأنه قد أصبح الآن رجلا عظيما وتظاهر بالوقار .. فلم يلعب مثل الأولاد الآخرين .. وأخذ يمشى بتؤدة من مكان الى آخر .. وذلك باعتباره كان قرصانا سابقا ..

كلهم أصبحوا يعرفونه الآن .. وأصبح هو محط أنظار الجميع .. وعندما كان يسير فى الشارع .. كان

الجميع يتهامسون بمغامراته المدهشـــة ·· ولكنه كان يتظاهر بأنه لا يستمع الى ما يقولون ··

وكم كان توم يبدو ســـعيدا وهو يشاهد الأولاد الصغار وهم يتتبعونه في الطرقات ويلقون اليه بنظرات الاعجاب الشديد ··

وفي المدرسة أصبح توم وجو محل اهتمام جميع الأولاد والبنات ·· وكان كل منهمـــا يحكي مغامراته بالطريقة التي تعجبه وتروقه ·· وكانا يضيفان الكثير مما يسعفهما به الخيال ·· ولذلك فقد كانت قصصهما تبدو وكأنها لا تنتهي ·· واكتسبوا لأجل ذلك مزيدا من الاعجاب والتقدير ·· وبلغ انبهار الأولاد والبنات بهما ذروته ، حين أخرج كل منهمـــا البايب وأخـذ يدخن بوقار ·· !

وصمم توم على تجاهل بيكي تاتشر لأنه أصـــبح لا يحتاجها الآن بعد أن أصبح رجلا عظيما وهذا يكفيه ·· وتظاهر توم بأنه لا يراها ·· وابتعد عنها ، وأخـــذ يتحدث مع الأولاد والبنات الآخرين ··

أما بيكى فقد كانت تلعب مع بعض البنات ٠٠ وكانت تجرى وتمسك بأيه بنت تقف بالقرب من توم ٠٠ وكانت توجه نظراتها اليه وهو لا يبالى ٠٠ بل وأخذ يشعر بالفخر بنفسه وهو يتجاهلها على هذا النحو ٠٠

وتوقفت بيكي عن اللعب وشـــعرت بالحزن ٠٠ وبدأت تتجه نحو توم وهي تنظر اليه وكأنها تستعطفه ٠٠ وهنا بدأ توم يتكلم مع ايمى لورانس ٠٠

وعلى الفور بدأت بيكى تشعر بغيرة شـــديدة ٠٠ وأوشكت أن تستدير مبتعدة عن توم ، ولكنها لم تفعل ذلك ٠٠ ورأت بيكى احدى صديقاتها تقف بالقرب من توم وايمى ٠٠

فقالت لها بيكى بصوت مرتفع :

ـ أوه يا مارى أوستن ٠٠ انك حقا فتاة سيئة ٠٠ لماذا لم تحضرى الى المدرسة يوم الأحد الماضى ٠٠ ؟!

فقالت الفتاة مندهشة :

ـ لقد حضرت ٠٠ ألم ترينى ٠٠ ؟!

فقالت بيكي بنفس الصوت المرتفع :

ـ لا يا مارى .. لم أرك .. أين كنت تجلسين ؟ .. لقد كنت أريد أن أدعوك الى النزهة الخلوية ..

ـ نزهة خلوية ؟ .. متى وأين .. ؟!

ـ ان أمى ستعد لنا نزهة خلوية .. وكل أصدقائى يستطيعون الحضور .. ويمكننى أن أدعوك اليها ..

ـ رائع رائع .. وهل ستدعين كل الأولاد والبنات الى تلك النزهة .. ؟!

فقالت بيكي وهي تنظر خلسة الى توم :

ـ نعم .. سأدعو كل أصدقائى !

ومع ذلك فلم يلتفت توم اليها .. وتظاهر بالانهماك في الحديث مع ايمى لورانس .. وهو يحكى لها قصة العاصفة التى هبت عليهم فى الجزيرة ..

وكان جميع الأولاد والبنات ـ عدا توم وايمى ـ يتمنون أن تدعوهم بيكي الى تلك النزهة الخلوية .. ولكن

توم أخذ ايمي ومشى بها بعيدا ٠٠ وازدادت بالتـــالى أحزان بيكى التى أصبحت لا تهتم الآن بموضوع تلك النزهة ٠٠ وسارت عدة خطوات وبدأت تبكى لولا أنها قد بدأت فى الانشغال بفكرة جديدة ٠٠

وظل توم يحكى لايمي بعض مغامراته ٠٠ ولكنه كان يدور بعينيـــه فى كل الأرجاء بحثا عن بيكى ٠٠ لقد اختفت ٠٠ أين ذهبت ٠٠ وأخيرا رآها ٠٠ !

كانت جالسة مع ألفريد تمبل يقرآن أحد الكتب ويشاهدان ما فيه من صور ٠٠ وكانت رأسها قريبـة من رأسه وهما مستغرقان فى المطالعة ٠٠

وبدأ توم يحس بالغيرة ٠٠ وبدأ يؤنب نفسه ٠٠ أن بيكى فى حقيقة الأمر هى فتاته المفضلة ٠٠ وهى على وشك أن تضيع منه الآن ٠٠ وانصرف توم تماما عن الحديث مع ايمي ، وأصبح لا يرد على أسئلتها ٠٠ ومشى معها صامتا ، حتى وصلا فى النهاية الى حيث تجلس بيكى مع ألفريد تمبل ٠٠

وأخذ توم يوجـه نظرات ملتهبة الى بيـكى التى

اخذت تتظاهر بأنها لا تلاحظه ·· وازداد بالتالى احساس توم بالغيرة والحزن ·· ولكنهـــا كانت تختلس النظر اليه ·· وامتلأ قلبها بالسعادة الغامرة بعد أن تأكدت من أنها قد كسبت المعركة ، وجعلت توم حزينا ·· !

كان ألفريد تمبل يرتدى دائما ملابس جيدة ·· ولذلك فقد كان توم لا يحبه ولا يطيقه ··

وفى لحظات كان توم قد تخلص من ايمى لورانس وأحاديثها التافهة واتجه الى بيته ·· وفى الوقت نفسه كانت بيكى قد فقدت اهتمامها بالكتاب الذى يعرضه عليها ألفريد ، وطفرت الدموع من عينيها وبدأت تبكى ·· وحاول ألفريد أن يعرض عليها صورة أخرى ولكنها رفضت ·

وصاحت فى وجهه :

ـ هيا ·· اذهب بعيدا عنى ·· انى أكرهك !

وغضب ألفريد تمبل من هذه المعاملة ·· خصوصا بعد أن فهم الموضوع كله ·· لقد اســـتغلته بيكى ·· واستخدمته كوسيلة فقط لاغضاب توم واغاظته ·· !

وكان ألفريد لا يحب توم منذ البداية ·· أما الآن فقد ازدادت كراهيته له وأراد أن يوقع به الأذى ·· وأخذ يتجول فى المدرسة باحثا عن طريقة ينفذ بها هــذا الهدف ··

وفى حجرة الفصل عثر ألفريد على كتاب يخص توم ·· الكتاب الخاص بهجاء الكلمات ·· وأخذ يقلب فى صفحات الكتاب حتى وصل الى الصفحة المقررة فى درس اليوم ، وسكب عليها بعض الحبر ··

كانت بيكى فى تلك اللحظة تطل من نافذة الحجرة ، وشاهدت ألفريد وهو يقوم بتلك العملية ، ولكنها لزمت الصمت ولم تتكلم ·· وفى طريق عودتها الى بيتها ، قررت أن تبلغ توم بالحبر الذى سكبه ألفريد فى كتابه ·· ولكنها غيرت رأيها بعد أن تذكرت أن توم قد فضل عليها ايمى لورانس ·· وعندئذ شعرت بيكى بالضيق ، وقالت لنفسها : سأكرهه الى الأبد ·· وسيرى المدرس الحبر المسكوب على صفحة كتابه ·· وسيعاقبه على ذلك عقابا شديدا ·· ان هذا أمر يدعو الى السرور ·· !

وعندما وصل توم الى البيت ·· وجد خالته فى قمة الغضب ، فسألها حائرا :

ــ ماذا يا خالتى ·· هل صنعت شيئا أغضبك ·· ؟!

فقالت الخالة وهى تشعر بالغيظ :

ــ لقد أخبرتني بأنك رأيت حلما غريبا ·· وذهبت الى مسز هاربر لكى أقص عليها هذا الحلم ·· فأخبرتنى بأنك كنت موجودا بالبيت يوم الأربعاء ·· وأن ابنها جو قد أخبرها بذلك ·· فماذا ستظن عني هذه السيدة ·· ستظن أن عقلى صغير لأنك ضحكت على بسهولة وصدقتك ··

وأحس توم بالخجل من نفسه ·· وقال لخالته معتذرا :

ــ أنا لم أقصد مضايقتك أبدا يا خالتى ·· لقد جئت الى البيت فى تلك الليلة لأنى كنت أريد أن أخبرك بالحقيقة ·· كنتم تظنون اننا متنا ولم يكن الأمر كذلك ·· كنت أريد أن أخبرك بهذا ··

ـ أوه يا توم •• هل ســـتستمر فى قول هذه الأكاذيب •• ؟!

ـ هذه ليست أكاذيب يا خالتى •• هـــذه هى الحقيقة •• لقد كنت حزينـــة من أجلى •• وكنت أرثى لحالك •• ولـكنى لم أســـتطع أن أخبرك لأنكم كنتم تتحدثون عن اقامة الصلاة على أرواحنا ••

وهنا سألته الخالة الطيبة :

ـ أريد أن أعرف شيئا •• هل قبلتنى يا توم حقا •• ؟!

ـ نعم يا خالتى •• وأقسم على ذلك !

ـ ولماذا قبلتنى •• ؟!

فقال توم :

ـ لأنى أحبك يا خالتى •• ولا أحب أن تكونى حزينة بسببى •• !!

الفصل السادس عشر

توم يتصرف بنبل ٠٠!

كان توم سعيدا وهو يأخذ طريقه صوب المدرسة ٠٠ فقد اتضح له أن خالته أصبحت تحبه الآن أكثر من ذى قبل ٠٠ وفى أثناء الطريق قابل بيكى تاتشر ٠

واعتذر لها برقة :

ـ لقد تصرفت نحوك بطريقة سيئة يا بيكى ٠٠ انى آسف وأعتذر لك يا بيكى ٠٠ ولن أفعل ذلك مرة أخرى ٠٠ !

فصوبت اليه نظرة متعالية ٠٠ **وقالت له بهدوء :**

ـ مستر توماس سوير أرجوك ·· ابعد عنى ··
لن أكلمك طول عمرى ·· !

ولم ينطق توم بكلمة ·· وواصل طريقه كسيف البال ، يكاد أن ينفجر من شدة الغضب ·· وعندما وصل الى المدرسة ، قابل بيكى مرة أخرى ·· فنظر اليهـــا نظرة متغطرسة ·· وأجابته هى بنظرة حادة قاسية ·· وحاولت أن تخفف عن نفسها قليلا ، فأخذت تقول فى سرها : ان حصة الهجاء آتية ·· وسيرى مستر دوبينز الحبر المسكوب على كتاب توم ·· وسيعاقبه على ذلك بشدة ·· هذا شىء مؤكد ··

ولكن بيكى وضعت نفسها فى موقف محرج سيجر عليها كثيرا من المتاعب ·· فقد كان مستر دوبينز يتمنى أن يصبح طبيبا لا مدرسا ·· ولذلك فقد كان يحفظ بعض المعلومات عن بعض الأدوية ·· وكان ينتهز دائما فرصة انشـــغال التلاميذ فى أداء واجباتهم بالفصل ، فيفتح درج مكتبه ، ويخرج كتابا يستغرق فى قراءته ··

لم يكن أى من الأولاد أو البنات يعرف عنــوان

هذا الكتاب ·· لأن مستر دوبينز كان يضعه فى الدرج بعد أن يقرأ فيه بضع صفحات ، ويغلق عليه بالمفتاح ·· ولهذا لم يعرف أحد اسم هذا الكتاب ولا موضوعه ··

وعندما كانت حجرة الدراسة خالية من الأولاد والبنات ، دخلت بيكى لتحضر شيئا من درجها ·· ولكنها لاحظت أن المفتاح موضوع فى قفل مكتب الاستاذ ·· وكم كان هذا رائعا ·· فهذه هى فرصتها الذهبية لتعرف اسم الكتاب·· وتقدمت بشجاعة ، وفتحت الدرج ، وأخرجت الكتاب وأمسكته بين يديها ··

كان اسم الكتاب : « الدواء الحديث » من تأليف الدكتور فلان الفلانى ·· وبدأت تقلب فى صفحاته ·· ولكنها فوجئت بوجود ظل لرأس يتحرك فوق صفحات الكتاب ·· فالتفتت بخوف لترى ظل من هذا ، فاذا بها تفاجأ بتوم سوير ··

ارتبكت بيكى وهى تغلق الكتاب بسرعة ، وتمزقت صفحتان فى منتصف الكتاب ·· فياله من حادث مروع ! ·· ها هى تتسبب فى تمزيق صفحتين من

الكتاب السرى لأستاذها ·· فياللمصيبة ·· انها ستتعرض للعقاب حتما ··

ومدت يدها ببطء ، ووضعت الكتاب داخل الدرج ·· وأغلقت عليه بالمفتاح ·· وبدأت تبكى من شدة احساسها بالخجل من نفسها ·· ومع ذلك فقد **قالت لتوم وهى مستمرة فى البكاء :**

ـ توم سوير ·· انى أكرهك ·· ستخبر مستر دوبينز بأنى مزقت كتابه ·· أليس كذلك ·· ماذا أفعل ·· سيعاقبنى الاستاذ على ذلك ·· اننى لم أتعرض للعقاب من قبل ·· وستكون هذه هى المرة الأولى التى أعاقب فيها ·· ولكنى أعرف سرا لن أخبرك به ·· سوف تعاقب أنت أيضا فى حصة الهجاء ·· وسترى بنفسك ·· انى أكرهك ·· أكرهك ·· !

واندفعت بيكى خارجة من حجرة الدراسة ·· دون أن تتوقف عن البكاء فى غضب ·· ولم يفهم توم لماذا تتصرف بيكى على هذا النحو ··

واخذ يقول لنفسه متعجبا :

ماذا جرى لها ·· هل هى خائفة ·· انى لن أخبر مستر دوبينز بشيء ·· ولكنى أعتقـــد أنه رجل ذكى وسيعرف ذلك وحده عندما يتفحص وجـــوه الأولاد والبنات ·· سيعرف على الفور من الجانى ·· فمن السهل قراءة وجوه البنات لأنهن لا يستطعن اخفاء الحقيقة ·· .

وفى الفصل ، شعر توم بالاضطراب عندما رأى وجه بيكى يعبر عن القلق الشديد الذى تعانيه ·· وبدأ الدرس بمجرد دخول مستر دوبينز الى الحجرة · وطلب من الأولاد والبنات أن يفتحوا كتبهم على درس اليوم ·· وسرعان ما شاهد بقعة الحبر المسكوب على كتاب توم ·· آه ·· لقد بدأت الكارثة ·· وابتســـمت بيـــكى فى سعادة !

قال توم انه لم يســـكب الحبر على الكتـاب ·· ولا يعرف من المتسبب فى ذلك ولكن مستر دوبينز لم يصدقه ، وعاقبه عقابا شديدا ·· وبينما كانت بيكى ترى توم وهو يعاقب ظلما ، لم تشعر بالسعادة فى حقيقـــة الأمر ، ولكنهـــا مع ذلك ظلت صامتـــة ·· وان كانت تقول فى قرارة نفسها :

سوف أخبر توم بأن ألفريد تمبل هو الذى سكب الحبر فى كتابه ·· ولكن لا ·· لن أقول ذلك ·· لأن توم سيخبر مستر دوبينز بأنى مزقت كتابه ·· اذن ·· لن أقول له من سكب الحبر ·· !

ومرت نحو ساعة ·· وكان الأولاد والبنات منهمكين فى كتابة الدرس ·· وكان مستر دوبينز يغالب النعاس وأوشك أن ينام .. ولكنه فتح درج مكتبه وأخرج الكتاب وبدأ يقرأ ·· دون أن يرى أن ولدا وبنتا كانا يصوبان عيونهما نحوه ··

ونسى توم خناقته مع بيكى وأراد أن يساعدها فى محنتها ·· ولكن كيف ·· ؟!

هل يقوم ويخطف الكتاب من يد الأستاذ ؟··· ولكن لا ·· فقد فات الوقت ·· ورأى الاستاذ الصفحتين الممزقتين ·· وهنا نظر الاستاذ الى التلاميذ فى غضب ، وقال :

ـ من مزق هذا الكتاب ·· ؟!

وساد الصمت فى أرجاء الفصل ·· ولم ينطق أحد بكلمة ·· وأخذ الاستاذ يتفحص أوجه وعيـون الأولاد والبنات فردا فردا ··

وبدأ التحقيق :

ـ بنيـــامين روجرز ·· هـل أنت الذى مزقت الكتاب ·· ؟!

ـ لا يا سيدى ·· !

ـ جوزيف هازبر ·· هل مزقت هذا الكتاب .. ؟!

ـ لا يا سيدى ·· !

واتجه الأستاذ الى الجانب الذى تجلس فيه البنات ·· **وبدأ تحقيق آخر :**

ـ ايمى لورانس ·· هل مزقت هذا الكتاب ··؟!

ـ لا يا سيدى ·· !

ـ جريسى ميللر ·· هل مزقت هذا الكتاب ·· ؟!

ـ لا يا سيدى ·· !

ـ بيكى تاتشر ·· [وهنا لاحظ توم أن وجهها صار شاحبا من شدة الرعب] ·· أنظرى فى عينى ·· هل أنت التى مزقت الكتاب ·· ؟!

وهنا قفزت فكرة سريعة الى عقل توم ·· فهب واقفا ·· **وصرخ بشهامة :**

ـ أنا الذى مزقته ·· !!

اندهش الأولاد والبنات كلهم ·· ووقف توم لحظة ·· ثم تقدم الى الأستاذ لينال عقابه ·· ولاحظ توم أن بيكى قد ارتاحت وأصبحت سعيدة ·· ورأى فى عينيها أنها راضية عليه ·· بل ولاحظ شيئا آخر ·· انها تحبه فعلا !!

وقام مستر دوبينز بمعاقبة توم ، وضربه بشدة ، وأمره بألا يغادر المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسى ·· فهو محبوس ساعتين !

وتحمل توم الضرب ·· بل وفرح عندما عرف انه محبوس ساعتين ··

وقال لنفسه :

لابد أن بيكى ستنتظرنى ·· نعم ستنتظرنى ·· انى متأكد من ذلك ·· !

وقبل انتهاء وقت الحبس بقليل ·· وصلت بيكى الى المدرسة وقابلت توم ·· وأخبرته بكل شيء عن حكاية ألفريد تمبل ··

وقالت له في اعجاب شديد :

ـ كم أنت رائع يا توم ! ·· كيف أصبحت نبيلا الى هذا الحد ·· ؟!!

الفصل السابع عشر

نهاية العام الدراسى

عندما أوشك العام الدراسى على الانتهاء ، طلب مستر دوبينز من التلاميذ والتلميذات أن يعملوا بجد ، وكلفهم بأداء كثير من الواجبات ·· وكان يعاقب كل من يتوانى فى أداء واجبه عقابا شديدا ، لذلك فقد اغتاظ منه الأولاد ، وقرروا الانتقام منه ·· قرروا أن يدهنوا رأسه بالطلاء ·· !

ونظرا لأن مستر دوبينز قد فقد شعر رأسه كله ، فقد كان يلبس باروكة بشعر مستعار ·· أما رأسه نفسها فقد كانت قرعاء وليست بها شعرة واحدة ·· وكان مستر دوبينز يستأجر غرفة فى بيت نقاش القرية ، يعيش فيها هو وزوجته ·

وقد ناقش التلاميذ موضوع دهان رأس الاستاذ مع ابن النقاش ، الذى وافق على أن يقوم بهذه المهمة . خصوصا وأن زوجة مستر دوبينز غائبة عن البيت لبضعة أيام ، وأن الاستاذ كان ينام فى كثير من الأحيان على أحد الكراسى بوسط الحجرة .. واتفق الأولاد مع ابن النقاش على دهان الرأس قبل موعد حفل انتهاء العام الدراسى ...

وأخيرا حل موعد الليلة الموعودة .. ليلة الاحتفال الكبير الذى يعقد كل عام .. وفى الساعة الثامنة مساء كان الاستاذ يجلس على مقعد كبير بجوار السبورة .. وامتلأت حجرة الدراسة بالمدعوين لحضور هذا الاحتفال من أهالى القرية ، ومن آباء وأمهات وأولياء أمور كل التلاميذ والتلميذات ، بالاضافة الى عديد من الشخصيات المهمة ..

وكان الأولاد يلبسون أحدث وأنظف ما لديهم من ثياب .. كما كان البنات يرتدين فساتين جميلة ذات ألوان مختلفة .. وعندما التأم شمل الجميع ، بدأت مراسم الاحتفال ..

فى البداية ، وقف طفل صغير على خشبة المسرح .. ونظر الى الناس ..

وقال :

بالرغم من أنى لست كبيرا ..

سأحكى لكم قصة تسركم كثيرا كثيرا ..

وبدأ الغلام يحكى قصة كان يرويها بطريقة آلية .. وبعد أن انتهى منها .. جلس بجوار أمه وهو فى غاية السرور ..

وبعد ذلك صعدت الى المسرح فتاة صغيرة ، وروت قصة أخرى ، صفق لها الناس كثيرا بعد أن انتهت منها .. وجلست الفتاة أيضا بين أفراد عائلتها ، وهى تشعر بسعادة غامرة .

وجاء دور توم سوير .. فصعد الى المسرح وقال للجمهور أنه يريد أن يذكر لهم حقيقة كبرى .. هى : اما أن يعيش حرا أو يموت .. وحاول أن يعبر عن فكرته تلك بالتمثيل الصامت ، فأخذ يلوح بيديه فى

الهواء بعصب سديد ·· وفجأة توقف عن فعل ذلك وأرخي ذراعيه الى جانبه ·· وأخذت ركبتاه ترتعشان بشدة ·· وضاق صدره حتى أصبح يتنفس بصعوبة ·· ولم يستطع الاستمرار فى الوقوف على قدميه ·· وبدت الحجرة كما لو كانت تدور وتدور ·· وهنا حل بالجميع صمت ثقيل ·· وظهر الغضب على وجه الأستاذ ·· فقد كان توم يريد أن يعبر عن فكرته القائلة بأنه اما أن يعيش حرا أو يموت ·· ولكنه فشل في ذلك فشـــلا ذريعا ··

وبعد ذلك صعد الأولاد الى المسرح واحــــدا وراء واحد ·· ثم صعدت البنات واحدة بعد أخرى ·· وكان كل منهم يقرأ شيئا ·· أو يحكى قصة ·· أو يقـــول خطبة ·· أو يلقي شعرا ·· ونجح بعضهم فى ذلك ، الا أن بعض القصائد الشعرية كانت أطول من اللازم ، وأصابت الناس بشيء من الملل ··

ثم صعدت الى المسرح فتـــاة شابة ذات عيـــون سوداء ، وبدأت تقرأ قطعة من الأدب الانجليزى تصف

بنتا جميلة ·· عشر صفحات كاملة فى وصف تلك البنت الجميلة ·· ومع ذلك لم يهتم بها أحد من جمهـــور المستمعين ·· !

وأخيرا جاء دور مستر دوبينز نفسه ·· فوقف ·· وابتسم للأهالى معبرا عن رضـــائه ·· لأن تلاميــذه وتلميذاته قد أدوا أدوارهم بشكل جيد ومقبول ·

واتجه مستر دوبينز الى الســـبورة وبدأ يرسم خريطة لأمريكا ·· ولكن نظرا لأنه قد شرب كثيرا فى تلك الأمسية ، فقد كانت يده ترتعش وهى تمســـك بالطباشير ·· وبدأ الناس يضحكون لأن خطوط الخريطة لم تكن صحيحة ··

ورسم مســـتر دوبينز خطـــوطا أخرى فازدادت الخريطة غموضا ·· وازداد بالتـــالى ضحك الجميع ·· واضطر عندئذ أن يســـتخدم الممحاة ·· فمحا بعض الخطوط ورسم غيرها فأصبحت الخريطة أسوأ من ذى قبل ·· وانفجر الناس بالضحك مرة أخرى ·· وكلما

أصر الاستاذ على تعديل الخريطة ، كانت الخريطة تزداد سوءا ٠٠ وكانت الضحكات تزداد ارتفاعا ٠٠

وفجأة ٠٠ رأى الناس قطة مربوطة بحبل ٠٠ تتدلى من الحجرة العلوية ٠٠ وكان فم القطـــة مربوطا بقطعة من القماش لمنعها من المواء ٠٠ !!

وعندئذ امتلأت الحجرة بالضحكات والقهقهات ٠٠ فقد كانت القطة تهبط ببطء مدلاة من سقف الحجرة ٠٠ ومصوبة نحو رأس الاستاذ تماما ٠٠ ولكن الاستاذ لم يلتفت اليها اطلاقا لأنه كان منهمـــكا فى الاصرار على تصحيح الخريطة ٠٠

وعندما أصبحت القطة قريبة من باروكة الشعر المستعار ، أصابها الغضب ، لأنها كانت فيما يبدو لاتحب الأشياء غير الطبيعية ٠٠ ولهذا فقد هبشت الباروكة وأزاحتها عن رأس الاستاذ ٠٠ !

وفى الحال ، قام الولد الذى كان يقوم بتدلية القطة المربوطة بالحبل ، بجذب الحبل وقطتـــه سريعا الى أعلى السقف ٠٠ بينما أوشك الجميع أن يموتوا من الضحك

.. فقد أصبحت رأس الاستاذ القرعاء عارية تماما ..
وكانت تبرق فى أشعة الضوء .. فقد دهنها ابن النقاش
باللون الذهبى .. !

وهكذا انتهى العام الدراسى بضحك وسعادة ..
وبدأت أيام الاجازة .. !

الفصل الثامن عشر

محاكمة موف بوتر

كانت الأيام تمر بطيئة بالنسبة لتوم سوير ٠٠ فقد ذهبت بيكى تاتشر مع والديها لقضاء الاجازة ٠٠ سافرت الى قنسطنطينوبل (١) ولم يعد توم يراها ٠٠

وكان توم يزداد قلقا عندما يتذكر جريمة القتل التي وقعت أمام عينيه ٠٠ ولم ينس توم منظر الطبيب القتيل ٠٠

وسقط توم مريضا ٠٠ ولزم فراشه لمدة أسبوعين ٠٠ ثم اشتد به المرض ، فقضى في الفراش ثلاثة أسابيع

(١) مدينة بأمريكا ٠

أخرى ·· وبالتالى فقد أصبحت حياة توم غير سـعيدة بالمرة ·

مضت مدة طويلة وموف بوتر قابع بالسجن ·· واقترب الآن موعد محاكمتـه · ولم ينس توم السر الرهيب الذى يعرفه ·· بل كان يرتعد عنـدما يسمع الناس يتناقشون فى تلك الجريمة ··

وقال توم لنفسه :

جميع الناس يعتقدون أن موف بوتر هو الذى ارتكب جريمـة القتل ·· وسيؤكدون ذلك أثنـاء المحاكمة ·· !

ولذلك فقد صمم توم على مناقشة الجريمة مع هك الذى يعرف الحقيقة مثله ·· وانزوى توم مع هك فى مكان منعزل **وسأله سؤالا محددا :**

ـ هل أخبرت أحـدا بشىء عن تلك الجريمـة يا هك ·· !

فأجاب هك بسرعة :

ـ لا طبعا ·· لم أخبر أحدا ··

ـ حتى ولو كلمة واحدة ·· ؟

ـ ولا أية كلمة ·· لماذا تسأل عن ذلك ·· ؟

فقال توم بصدق :

ـ لأننى خائف ···

فقاطعه هك :

ـ اذا عرف ريد جو ذلك ·· فسوف يقتلك على الفور وتموت ·· أنت تعرف ذلك ولا شـــك ·· واذا مت ·· فلن تستطيع عندئذ أن تتكلم وتقول أى شىء ·· !

فقال توم :

ـ سنظل آمنين اذا لم نقل شيئا ·· هل نتعاهد على ذلك مرة أخرى ؟!

ـ لا مانع ·· !

وتعاهد الاثنان مرة أخرى على ألا يخبرا أحدا بما شاهداه فى تلك الليلة الفظيعة ·· واســـتخدما فى تعاهدهما كلمات كبيرة مرعبـــة ·· ولكنهمـــا سرعان ما شعرا بالراحة ··

فقال توم :

ـ كل الناس يظنون أن موف بوتر هو القاتل ..

فقال هك موافقا :

ـ نعم كلهم يتهمـــون موف بوتر بارتكاب تلك الجريمة .. وهذا أمر يدعو للأسف .. فى بعض الأحيان أريد أن أجرى واختبىء فى أى مكان ..

ـ ألا تشعر بالحزن بسبب الظلم الذى سيقع على موف بوتر .. ؟!

ـ أشعر دائمـا بذلك ، فهو لم يؤذ أحدا على الاطلاق .. انه لا يعمل شيئا سوى اصطياد الســمك ليحصل على بعض النقود .. وبعد أن يبيع سمكه ، يذهب ليشترى نبيذا يشربه .. لقد أعطانى مرة نصف سمكة !

ـ هل نســتطيع يا هك أن نخرجه من السجن ونطلق سراحه .. ؟!

ـ لا يمكن .. بل حتى لو استطعنا أن نطــلق سراحه .. فانهم سيقبضون عليه مرة أخرى .. !

وظل الولدان يتناقشان لمدة طويلة ·· ولكنهما لم يشعرا بالراحة ·· فذهبا الى السجن وأخذا يتحدثان الى موف بوتر من خلال النافذة ·· وشكر لهما موف بونر هذا الصنيع الجميل ، وقال لهما انه يعتبرهما أحسن وأطيب أصدقائه ·· وانهما أدخلا الى قلبه كثيرا من الراحة رغم الحالة البائسة التى يعانيها بسبب المشكلة التى يواجهها ·· !

وعاد توم حزينا الى البيت ·· ورأى فى أحلامه فى تلك الليلة أشياء وأحداثا كثيرة مرعبة ··

وفى اليوم التالى ، ذهب توم الى المحكمة ·· ولكنه لم يدخل ، وظل منتظرا بالخارج ، بينما بدأت محاكمة موف بوتر بالقاعة الداخلية ··

وفى اليوم الذى يليه ذهب توم الى المحكمة مرة أخرى ·· وفوجىء بأن هك قد جاء الى المحكمة هو الآخر ·· ولكنهما لم يتقابلا ·· بل كان كل منهما يتحاشى النظر الى الآخر ويبعد عينيه ··

وفى نهاية هذا اليوم من المحاكمة ، كان الجميع قد

صدقوا الاكذوبة الكبرى التى رواها لهم ريد جو ·· فقد كان يقول دائما نفس الشىء ·· ولم تتغير كلماته اطلاقا ·· وكان يصر على أن موف بوتر هو الذى ارتكب جريمة قتل الطبيب ··

وعندما عاد توم الى البيت لم يستطع النوم فى تلك الليلة الا بعد مرور ساعات طويلة من القلق ·· وفى صبيحة اليوم التالى ، كانت المحكمة ممتلئة عن آخرها بالناس ·· فهذا هو اليوم الحاسم فى القضية ·

وعندما كانوا يقتادون موف بوتر الى داخل المحكمة ، كان وجهه أبيض شاحبا ، ولا تبدو فى ملامحه أية بادرة للأمل ! ··

وقال احد الشهود :

ـ لقد رأيت موف بوتر وهو يغسل يديه فى ماء النهر ·· يوم ارتكاب الجريمة ·· وبعد أن انتهى من ذلك ·· قام واختفى !

وقام شاهد آخر بوصف سكين موف بوتر وقال

انهم عثروا عليها بجوار الجثة التي كانت ملقاة في ساحة المقابر !

ولم يتحدث أحد بكلمة واحدة لصالح موف بوتر ، فكل شيء كان ضده .. وأصبحت القضية واضحة أمام الجميع ..

وهنا نادى صوت :

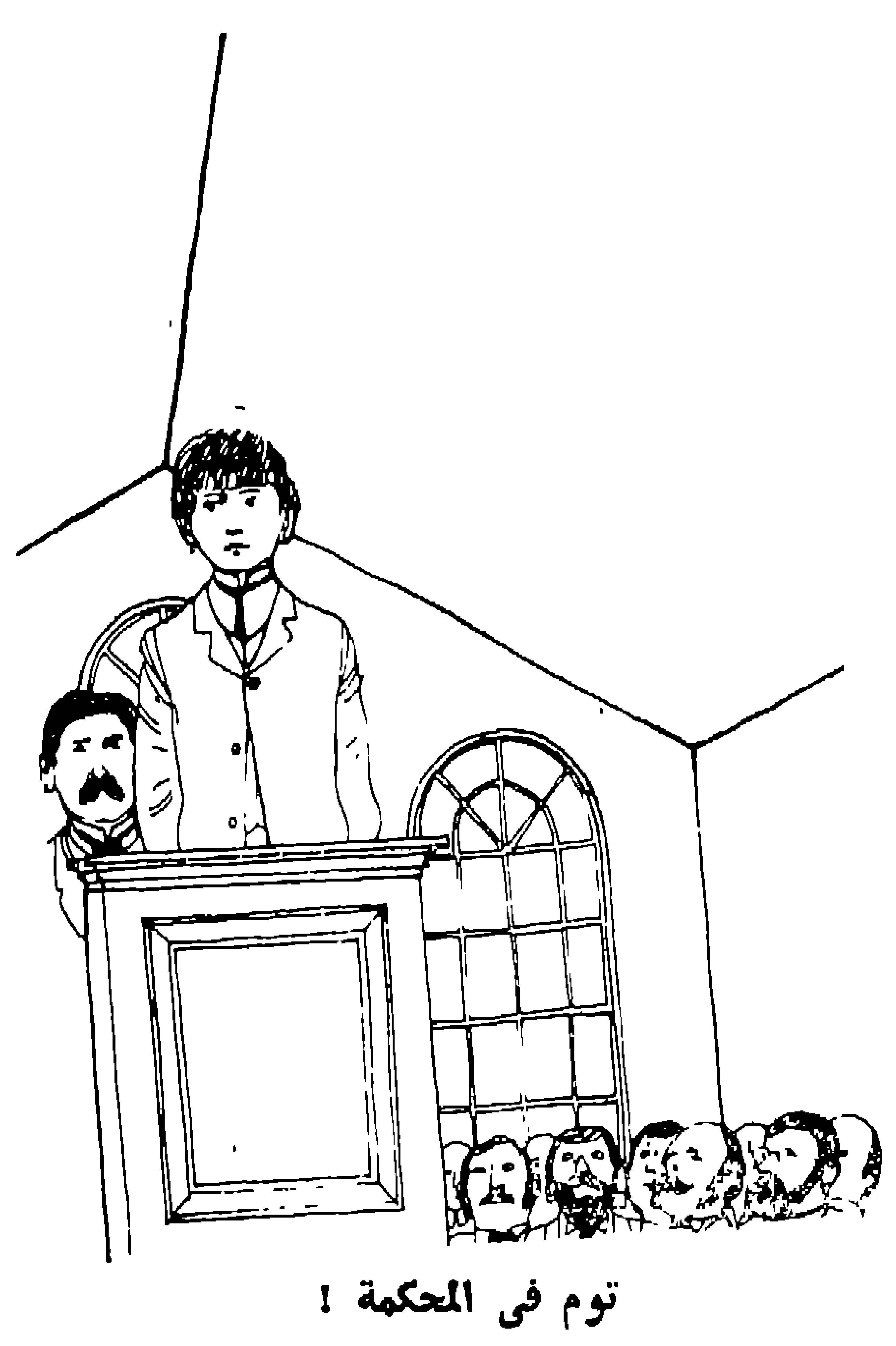
ـ استدعوا توماس سوير .. !

واندهش جميع من كانوا بالمحكمة .. حتى موف بوتر نفسه اندهش لذلك كثيرا .. فان أحدا لم يتوقع أن يرى توم سوير في هذه المحكمة ..

واخذ الناس يتهامسون متسائلين :

ترى .. ماذا يعرف توم عن هذا الموضوع .. ؟!

وقف توم سوير .. واتجهت اليه كل العيون .. وخيل اليه أن أحدا يوجه اليه سؤالا .. وان عليه أن يفكر ويقول بوضوح ..



توم فى المحكمة !

ـ توماس سوير ٠٠ أين كنت فى ليلة السابع عشر من شهر يونيو الماضى ٠٠ ؟!

وهنا وقعت عينا توم على وجه ريد جو ، فلم يستطع الاجابة ٠٠ وأخذ الجميع ينتظرون ما سوف يقوله ، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة ٠٠

ولكن فجأة أصبح توم قادرا على الاجابة ،

فقال بصوت هادىء :

ـ كنت فى ساحة المقابر !

ـ ارفع صوتك من فضلك ٠٠ ولا تخف يا بنى ٠٠ !

فردد توم جملته بشجاعة أكثر :

ـ كنت فى ساحة المقابر !

وهنا علت وجه ريد جو ابتسامة صغيرة عابرة ٠٠

ـ هل كنت قريبا من القبر الذى دفن فيه هورس وليامز ٠٠ ؟!

ـ نعم يا سيدى !

ـ الى أى حد كنت قريبا من هذا القبر يا توماس سوير ٠٠ ؟!

فأعلن توم :

ـ كنت قريبا بمسافة تساوى نفس المسافة التى بينى وبينك الآن يا سيدى !

ـ وهل كنت مختبئا ٠٠ أم ظاهرا ٠٠ ؟

ـ كنت مختبئا ٠٠ !

ـ أين ٠٠ ؟!

ـ خلف الأشجار القريبة من القبر !

لقد أصبح توم الآن هادئا ٠٠ وأخذ يرد على كل سؤال بوضوح تام ٠٠ وأخذ ريد جو ينظر اليه بدهشة وقلق زائد ٠٠

واستمرت الأسئلة :

ـ هل كان معك أحـــد وأنت مختبىء فى ساحة المقابر ٠٠ ؟! ٠

ـ نعم يا سيدى ٠٠ كان معى ـ

ـ انتظر لحظة ٠٠ لا تخبرنا الآن باسم صديقك ٠٠ وقل لنا ماذا رأيت فى تلك الليلة ٠٠ أخبرنا بما شاهدته فقط ٠٠ !

فى البداية كان توم بطيئا فى الحديث ٠٠ ولكنه رويدا أخذ فى ذكر جميع التفاصيل بسرعة وبوضوح ٠٠ وساد الصمت تماما بينما كان توم يحكى القصة ٠٠ وكان صوته هو الصوت الوحيد الذى يتردد فى المحكمة ، وكان الجميع ينصتون اليه بكل اهتمام ٠٠ وعندما أوشك توم أن يصل الى نهاية القصة ،

قال :

ـ لقد أمسك الطبيب بلوح من الخشب وضرب به موف بوتر ٠٠ فسقط موف بوتر على الأرض ٠٠ وعندئذ قفز ريد جو والتقط السكين وأغمدها فى ـ

ولم ينتظر ريد جو سماع بقية القصة ٠٠ فقد هب واقفا من على المقعد الذى كان يجلس عليه فى المحكمة ٠٠ وقاوم كل من حاول الامساك به ٠٠ واتجه

بسرعة الى النافذة المفتوحة ، وقفز منها الى الخارج ٠٠ واختفى !

وهكذا أصبح توم رجلا هاما وعظيما مرة أخرى وأصبح الجميع يتحدثون عنه باعجاب ٠٠ وصارت أيامه سعيدة ممتعة ٠٠ ولكن لياليه كانت سوداء مرعبة ٠٠ فهو لم يستطع أن ينسى أن ريد جو مازال مطلق السراح ٠٠ وانه يستطيع أن يصل اليه فى ظلام الليـــل لكى يقتله .. ان ريد جو قادر على فعل ذلك بسهولة .. ولهذا فلم يعد توم قادرا على مغادرة البيت بعـــد أن يحل الليل ٠٠

وكان هكلبرى فين خائفـــا أيضـــا ٠ وأسـف كثيرا للدور الذى أداه توم فى تلك القضية ٠٠ لقـد تعاهدا سويا بألا يخبرا أحدا بما حدث ٠٠ ومع ذلك فقد ذهب توم الى المحكمة وقال كل شىء ٠٠

ومن شدة القلق قال هك لنفسه :

ربما أخبرهم عنى كذلك ٠٠ ولكن كيف أعرف ؟!

أما موف بورر فقد شكر توم على انقاذ حياته واطلاق سراحه من السجن ..

أما ريد جو فلا يعرف أحد أين اختفى .. ولم يعثر له أحد على أثر .. حتى المأمور نفسه بالرغم من بحثه المستمر فلم يتمكن من العثور عليه ، ولم يعرف أين اختبأ ..

ترى أين هو الآن ؟ .. لقد أخذت الأيام تمر فى بحث متواصل دون جدوى ..

ورويدا رويدا .. بدأ توم فى نسيان مخاوفه .. واختفت ملامح القلق من وجهه .. !

الفصل التاسع عشر

تحت الشجرة الميتة ..!

يعتبر العثور على كنز مدفون من الأحلام الوردية التى تخطر بخيال كل الأولاد .. وكان توم أيضا يحلم بالعثور على كنز .. وفى يوم من الأيام قال توم لصديقه هك انه يريد أن يبدأ الحفر للعثور على أحد الكنوز المدفونة .. **فوافق هك وقال على الفور :**

ـ هذه فكرة جيدة .. ولكن أين سنبدأ الحفر .. ؟!

قال توم :

ـ أوه .. نستطيع أن نبدأ الحفر فى أى مكان .. !

ـ ولكن ٠٠ هل الناس يدفنون كنوزهم فى أى مكان ٠٠ ؟!

ـ لا ٠٠ انهم يدفنون الكنوز في أماكن خاصة ٠٠ القراصنة مثلا يدفنون كنوزهم فى الجزر ٠٠ وبعض الناس يخبئون الكنوز داخل صناديق يدفنـــونها في الأرض ٠٠ وبعض النـــاس الآخرين يدفنون الكنــوز تحت أشجار معينة ٠٠ وبعـــد أن يختاروا الشـــجرة التي سيدفنون الكنز تحتهـــا ، يذهبـون اليهـــا في منتصـــف الليل ، ليروا ظل هذه الشـــجرة على الأرض ، ويختاروا المكان المناسب لدفن الكنز في هذا الظل ٠٠ هذه هي الأماكن التي يدفن الناس فيها كنوزهم عادة ٠٠ ولكن بعض النـــاس يفضـــلون أن يدفنوا كنوزهم فى البيـــوت الخربة القديمة ٠٠ ففى مثـــل هـــذه البيوت تسكن أشـــباح وأرواح عديدة ٠٠ ولهذا فهى تعتبر أفضل مكان لدفن الكنوز واخفائها ٠٠ !

وتساءل هك :

ـ ولكن من ذا الذى يخفى الذهب فى مثل هذه الأماكن ٠٠ ؟!

فأجاب توم :

اللصوص ·· والقراصنه ·· انهم يدفنون الكنوز على أمل أن يحضروا لأخذها فيما بعد ·· ولكن ربما يتم القبض عليهم ويودعون السجون ·· أو ربما يموتون دون أن يعودوا الى كنوزهم مرة أخرى ·· ولهذا تظل هذه الكنوز مدفونه في أماكنها حتى يعثر عليها بعض الأذكياء اذا بحثوا عنها بعناية ··

وتساءل هك مرة أخرى ومازال الشك يساوره :

ـ ولكن كيف تعرف أنت المكان الصحيح الذى دفن فيه الكنز ·· ؟!

فأجاب توم ببساطة :

ـ يمكننا أن نبحث فى أى مكان ·· وليكن ذلك فى البيوت القديمة المهجورة وتحت الأشجار الضخمة ··

ـ معنى ذلك يا توم اننا سـنظل نبحث طول الصيف ·· !

ـ يمكننا أن نبدأ أولا بالبحث تحت الشجرة الميتة التى تقع على التل ·· هيا نذهب الى هناك ·· !

ـ موافق ٠٠ هيا نذهب الآن فورا ٠٠ !

كانت الشجرة تقع على بعد ثلاثة أميال ٠٠ وعندما وصلا اليها كانا فى شدة التعب والارهاق ٠٠ ولذلك فقد جلسنا تحتها يستريحان قليلا ٠٠

وبعد ذلك بدآ يحفران لمدة ساعة متواصلة ولكنهما لم يعثرا على شيء ٠٠ ثم عاودا الحفر فى مكان آخر ، ولكن لم يعثرا على شيء أيضا ٠٠

وقال توم وهو يلهث بأنفاس متقطعة ٠

ـ لابد أن نحضر الى هنا فى منتصف الليل ٠٠ ونراقب ظل هـــــذه الشجرة على الأرض ٠٠ ان ذلك سيساعدنا فى تحديد الموقع الصحيح للحفر ٠٠ !

وعاد الولدان الى موقع الشجرة مرة أخرى بعد أن حل الليل ٠٠ وانتظرا هناك حتى الساعة الثانية عشرة .. وراقبا ظل الشجرة بعناية ٠٠ وحددا مكان الحفر فى آخر نقطة لامتداد الظل على الأرض ٠٠ وبدآ يحفران بهمة ٠ ولكنهما مع ذلك لم يعثرا على شيء ٠٠

وهنا قال هك يائسا :

ـ توم ٠٠ علينا أن نجرب الحفر فى مكان آخر ..

ـ طبعا ٠٠ طبعا ٠٠ !

ـ وأين سنحاول هذه المرة ٠٠ ؟

ـ فى المنزل الذى تسكنه الأشباح ٠٠ فهذا هو المكان الذى يجب أن نبحث فيه عن الكنز ٠٠ أنه هـذا البيت المهجور القديم الذى يقع هناك ٠٠

فقال هك ببطء وبكثير من التردد :

ـ أنا لا أحب المنازل المسكونة بالأشباح ياتوم ٠٠ انها فظيعة مرعبة ٠٠ وتسكنها أشباح وأرواح كثيرة يستطيع أى منها أن يمسكنا بسهولة ٠٠ أنا لا أستطيع أن أتحمل ذلك يا توم ٠٠ ولا أحد يمكنه أن يتحمل ذلك أيضا ٠٠ !

فقال توم يطمئنه :

ـ ولكن الأشباح تظهر دائما أثناء الليـــل ·· ولا تظهر أثناء النهار أبدا ·· هل رأيت في عمرك شبحا يطل من منزل مهجور أثناء النهار ؟ ·· وكذلك فان أحدا لم يقل أبدا أنه رأى شبحا فى هذا المنزل ·· قالوا فقط أنهم شاهدوا نورا أزرق بجوار بعض النوافذ ·· ولا شى آخر غير هذا ·· !

فقال هك ، ومازال الشك يساوره :

ـ ربما كنت على صواب يا توم ·· لا مانع من الذهاب معك الى هناك لنحاول البحث ·· ولكن بشرط واحد ·· أن يكون ذلك فى ضوء النهار ·· !

وبعد ذلك هبط الولدان الى سفح التل ·· وأخذا طريقهما عائدين الى القرية ·· وتوقفا أثنـــاء الطريق ليشاهدا المنزل الذى تسكنه الأشباح ·· كان بيتا عتيقا يقف وحده فى مكان منعزل ولا يسكنه أحد ·· وحديقته ملآنة بالأعشاب الطويلة الكثيفة ·· وتهاوت أحجـار

أسواره وتناثرت على الأرض ٠٠ كما أن جرءا كبيرا من
سقفه قد تهدم ٠٠ ونوافذه كانت بدون زجاج ٠

وأخذا ينظران الى النوافذ لمدة طويلة ٠٠ ولم يريا
النور الأزرق ولا أى نور آخر ٠٠ ولكنهما لم يقتربا الى
البيت هذه المرة ٠٠ وعاودا السير بين الأشجار حتى
وصلا الى القرية ٠٠ !

الفصل العشرون

فى بيت الأشباح ٠٠!

وفى الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم التالى ، عاد الولدان الى الشجرة الميتة ليأخذ أدوات الحفر التى تركاها ليلة الأمس ٠٠ ولكن توم تذكر أن اليوم هو يوم الجمعة ، فقال لهك :

ـ لا يجب أن نذهب الى بيت الأشباح فى يوم الجمعة ٠٠ لأنه يوم سىء وفيه ساعة نحس ٠٠ !

وبالفعل أجلا العملية الى يوم السبت ٠٠ وأخذا معهما أدوات الحفر ٠٠ ووصلا الى بيت الأشباح ٠٠ ودخلا فيه ٠٠

كان كل شيء ســاكنا مخيفــا يبعث الرعب فى القلوب ·· ولقد خاف الولدان فعلا ·· وكانا يتحدثان بهمس ·· !

ولاحظا أن جميع الأرضيات غير سليمة ·· وأن هناك بضع درجات تؤدى الى غرفة علوية ·· ولما لم يجدا شيئا فى الغرفة السفلية ·· وضعا أدوات الحفر فى أحد أركان هذه الغرفة ، وأخذا يصعدان الدرجات المؤدية الى الغرفة العلوية ··

وعندما لم يجدا شيئا فى تلك الغرفة ·· استدارا مرة أخرى ليهبطــا الدرجات الى الدور الســفلى ·· وفجأة ! ·· سمعا بعض الأصوات الغريبة ·· فاختبآ على الفور ، وهمس **توم** :

ـ لا تتحرك ··

ورقد الولدان على الأرض ، وأخــذا ينظران الى أسفل ، من خلال بعض ثقوب الجدار ·· حيث أصبح فى

استطاعتهما أن يريا الغرفة السفلية بوضوح ‥ وشاهدا رجلين يدخلان الى هذه الحجرة ‥

وقال كل واحد منهما لنفسه :

ـ انه الأسبانى الأخرس العجوز ‥ ولكنى لم أشاهد الرجل الآخر من قبل ‥ !

وكان الاسبانى الأخرس ذا شعر طويل أبيض ‥ ويلبس نظارة ذات زجاج أخضر ‥ وقد ظهر فى القرية عدة مرات فى الفترة الأخيرة ‥ ولـــكن لأنه أخرس لا يتكلم ، فلم يعرف أحد اسمه ‥

جلس الرجلان على أرض الغرفة ، وبدآ يتحدثان بصوت منخفض ! ‥

وعندئذ همس هك في اذن توم :

ـ غريبة ‥ الاسبانى الأخرس يتكلم ‥ كنت أظنه لا يستطيع الكلام ‥ !

فأشار اليه توم بأن يلزم الصمت ‥

وقال الرجل الآخر :

ـ أنا لا أحب هذا المكان ·· فهو غير آمن ·· !

فقال الأسبانى :

ـ غير آمن ؟! ·· كيف ؟!

وعندئذ أصيب الولدان بدهشة شديدة ، اذ كان صوت الأسبانى الأخرس ، مماثلا تماما لصوت ريد جو ·· اذن فالرجل ليس أسبانيا ، وانما هو ريد جو بنفسه وقد تنكر فى هذا الشكل الغريب ··

وقال ريد جو محدثا زميله :

ـ فعلا هذا المكان ليس آمنـــا ·· ولا يصـــلح للاختباء فيه ·· !

فقال زميله :

ـ أعرف ذلك ·· ولكن لا يوجد مكان آخر أفضل منه ·· انى أريد أن أخرج من هذا البيت ولكن الأولاد سيلحظون ذلك ·· كيف نستطيع الخروج اذن ·· ؟!

وهنا قال ريد جو بحسم :

ـ اسمع ·· عليك بالذهاب الآن الى المكان المتفق عليه عند شاطىء النهر ·· وعليك أن تنتظرنى هناك ·· أما أنا فسوف أعود الى القرية لأقضى بعض الأعمال ·· وسوف ألحق بك لننفـــذ خطتنـــا بالهروب الى ولاية تكساس ·· !

واستمر الحديث بين الرجلين لمدة طويلة ·· ثم هدأ النقاش ·· وتمدد ريد جو بجوار الحائط ، وقـد غلبه النعاس ·

وقال لزميله :

ـ أريد أن أنام قليلا ·· وعليك أن تظل مستيقظا ·· وراقب المكان بعناية ··

وعلى الفور استغرق ريد جو فى النوم ·· وبقى زميله مستيقظا يراقب المكان لفترة ·· ثم غلبه النعاس ، فأغلق عينيه ، ونام هو الآخر ··

عندئذ همس توم فى اذن هك :

ـ الآن ·· هذه هى فرصتنا ·· هيا اتبعنى ·· !

نهض توم من مكمنه ·· واتجه بحذر شديد نحو السلم ·· وظل هك راقدا فى مكمنه لا يستطيع الحركة ، فقد كان خائفا ·· وما أن خطا توم خطوة واحدة على أرضية الغرفة المهشمة ، حتى حدثت طقطقة مخيفة بين الألواح الخشبية ، فتوقف توم فى مكانه على الفور ·· وبهدوء شـــديد رقد فى مكمنــه بجوار هك ، ولزم الصمت ·· وهكذا تبين للولدين أنهما لابد أن يبقيا فى هذه الحجرة دون أن يأتيا بأية حركة ·· وعليهما أن ينتظرا ما سوف يحدث ··

وبعد غروب الشمس ، استيقظ ريد جو ، وابتسم عندما رأى الحارس نائما ، فأيقظه بهدوء **وقال له :**

ـ يالك من حارس بارع ! ·· هيا ·· فلابد أن نذهب الآن ·· ولكن لابد أن نخفى النقود أولاً ·· اننا لا نستطيع أن نتجول هنا أو هناك ومعنا كل هــــذه الدولارات··· لابد أن نخبئها هنا ·· !

وتعاون الرجلان معا فى رفع أحد الأحجار من

أرضية الغرفة ، وبدآ يحفران تحته لاعداد مخبأ مناسب يضعان فيه النقود ·· وفي هذه الأثناء نظر كلٍ من توم وهك الى الآخر ، وتغامزا ، وبدت في عيونهما كل مظاهر الفرح ·· فالنقود كانت كثيرة ·· وستصبح تحت أمرهما بسهولة ·· ولم يستطع أى منهما أن يقـــول للآخرَ ولو كلمة واحدة ·· كانا يشاهدان فقط ·· وفى صمت مطبق ·· !

ولكن بينما كان ريد جو يحفر بسكينه في الأرض ، اصطدم نصل السكين بشيء صلب ·· وعندئذ .

صاح ريد جو :

ـ ياللهول !!

وتساءل زميله بسرعة :

ـ هاه ·· ماذا حدث ؟!

ـ وجدت قطعة من الخشب ·· لا ·· انه صندوق كامل ·· تعال هنا ·· وساعدني في اخراجه ·· ولكن لننظر أولا الى ما يحتويه ·· لقـد أحدثت ثقبـــا فى سطحه ··

وأدخل ريد جو يده بداخل الصندوق ، ثم أخرجها وهو يصيح :

ـ نقود !! انه ملآن بقطع النقود المعدنية !!

وأخذ الرجلان يتفحصان قطع النقود التى أخرجها ريد جو من داخل الصندوق المدفون .. كانت عملات ذهبية .. كلها من الذهب الخالص .. وكانت مفاجأة مدهشة جدا بالنسبة للرجلين .. وبالنسبة للولدين أيضا .. !

وقال الرجل الآخر :

ـ يجب أن ننتهى من هذا الأمر بسرعة .. يجب أن نخرج الصندوق فورا .. !

واتجه الرجل الى ركن الغرفة ، وأحضر أدوات الحفر التى تركها الولدان من قبل . وأخذ يحفر حول الصندوق بينما كان ريد جو يحرك الصندوق ويرفعه من الحفرة ..

لم يكن صندوقا ضخما .. ولكنه كان ممـــلوءا عن آخره بالعملات الذهبية .. وأخذ الرجلان يفحصان

هذا الكنز الثمين وعيونهما مفتوحة عن آخرها ‥ وأخذا يملآن قبضات أيديهما بالعملات ‥ ثم يتركانها لتسقط الى الصندوق من بين أصابعهما محدثة رنينا ذهبيـــا بديعا ‥

وقال ريد جو فرحا :

ـ هناك آلاف من هذه العملات الذهبية !

وقال زميله :

ـ يقولون ان رجال عصابة موريل كانوا يحضرون الى هنا فى الماضى ‥

وقال ريد جو :

ـ نعم ‥ وهذا هو كنزهم بين أيدينا ‥ !

ـ يخيل الى أنك لابد أن تصرف النظر الآن عن الخطة اياها ‥ !

ـ لا ‥ سوف أنفذ الخطة فعلا ‥ ولكن يجب علينا أولا أن نعيد دفن هذا الكنز فى مكانه [وهنا فرح الولدان كثيرا] ‥ ولكن لا ‥ لقد نسيت شيئا هاما

.. لماذا كانت هناك أدوات حفر موجودة فى هـــذه الغرفة .. [وهنا شعر الولدان بخوف شديد] .. من الذى أحضر هذه الأدوات الى هذا المكان .. لا .. لا يجب أن نعيد دفن الكنز هنا .. فســـــوف يأتى بعضهم ويأخذونه .. لابد أن نأخذه معنا ونخفيـــه فى مكان اقامتى .. !

وتساءل الرجل الآخر :

ـ هل تقصد المكان رقم (١) .. ؟!

ـ لا .. أقصد المكان رقم (٢) .. تحت الصليب . ولكن من هم أصحاب أدوات الحفر هذه ؟ .. هل حضرها الأولاد الى هنا .. هل هم مختبئون الآن بأعلى هذه السلالم .. ؟!

وبدأ ريد جو يصعد درجات السلم المؤدى الى الغرفة العلوية .. وفى نفس الوقت بدأ قلب كل من توم وهك يدق بسرعة مخيفة .. وبدأت أرجلهما ترتعش .. وأخذت خطوات ريد جو الثقيلة تقترب منهما أكثر

وأكثر .. وفجأة انكسرت احدى درجات السلم ، وسقط ريد جو بعنف على أرض الغرفة ..

وهنا قال له زميله :

ـ ما فائدة هـــذا كله .. هل تريد أن تكسر رقبتـــك .. حتى لو كان الأولاد موجـودين بالغرفة العلوية ، فسوف يبقون كما هم .. ولن يجسروا على ملاحقتنا فى ظلام الليل ..

وافق ريد جو على كلام زميله .. وخرج الرجلان من البيت وهما يحملان الصندوق المملوء بالعمـــلات الذهبية .. واختفيا فى الظلام ..

وبهدوء وحذر .. نزل الولدان على درجات السلم **وقال توم فى النهاية :**

يجب أن نراقب ريد جو .. ويجب أن نتتبعه الى المـــكان رقم (٢) .. ولـكن ما هو المـــكان رقم (٢) يا هك .. ؟!

وقال هك وهو يفكر :

ـ لا أدرى ‥ ولكن هناك شىء آخر ‥ لقد قال ريد جو انه يريد أن يذهب الى القرية ليعمل شـيئا ‥ هل تذكر ذلك ‥ كما أن الرجلين سيهربان بعد ذلك الى ولاية تكساس ‥ فما هو الشيء الذى يريد أن يعمله ريد جو فى القرية ‥ وما هى خطته اياها ‥ هل يريد أن يقتلنا ‥ ؟!!

الفصل الحادى والعشرون

المكان رقم (٢)

كانت الأحداث التى شاهدها توم أثناء ذلك النهار ، سببا فى قلقه أثناء الليل ٠٠ فقد نام نوما متقطعا ٠٠ وحلم أربع مرات بأنه قد حصل على الكنز ٠٠ وتبين له أربع مرات أيضا أنه لم يحصل على شىء بعد أن يستيقظ من كل حلم ٠٠

وبعد أن تناول افطاره ذهب ليبحث عن هك ٠٠ وكان هك شديد الغضب بسبب ضياع أدوات الحفر ٠٠

وقال لتوم :

ـ لقد ضاع منا هذا الكنز ٠٠ لأننا تركنا أدوات

الحفر فى ركن الغرفة ٠٠ لم نكن أذكياء بدرجة كافيـة يا توم ٠٠ أليس كذلك ٠٠ ؟!

فقال توم :

ـ **يجب أن نتتبع ريد جو لكى نحصـــل على الكنز ٠٠ !**

ولكن هك قال يائسا :

ـ **لن نعثر عليه أبدا يا توم ٠٠ لقد فكرت كثيرا** فى حكاية المكان رقم (٢) ولم أصل الى شىء ٠٠ لم أفهم ما هو المقصود برقم (٢) هذا ٠٠ **هل تعرف أنت يا توم** أين يوجد رقم (٢) ٠٠ ؟!

ـ لا ٠٠ لا أعرف بالضبط ٠٠ ولكن ربما كان رقم أحد البيوت ٠٠

ـ **لا ٠ ٠فالبيوت هنا ليست لها أية أرقام ٠٠**

ـ ربما يكون رقما لاحدى الغرف ٠٠ رقم غرفة فى أحد الفنادق ٠٠ !

وهنا قال هك :

ـ ربما ٠٠ هذا محتمل ٠٠ فغرف الفنادق دائما لها أرقام ٠٠ ولا يوجد هنا سوى فنـــدقين صغيرين اثنين ٠٠ فلنذهب اليهما الآن لنبحث الأمر ٠٠

ـ سأذهب أنا وحدى ٠٠ وابق أنت هنا يا هك لتنتظرنى ٠٠ !

غاب توم نحو نصف ساعة ٠٠ وعاد ليخبر هك بأنه ذهب الى الفندق الأول فوجد أن الغرفة رقم (٢) يسكنها شاب صغير منذ مدة طويلة ٠٠ أما الفنـــدق الثانى فقد كان أقل فى المستوى من الفندق الأول ٠٠ وهناك قابل توم أحد الأولاد الذين يعملون فيه ، فأخبره بأن الغرفة رقم (٢) فى هذا الفندق غرفة غريبة ٠٠ لم لم يشاهد أحدا يدخل اليها أو يخرج منهـــا الا أثناء الليل ٠٠ ولهذا فان الغلام يظن أن هذه الغرفة مسكونة بالأشباح ! ٠٠

واكمل توم حديثه قائلا :

ـ لقد لاحظت أن الباب الخلفى لتلك الغرفة يطل



.. وقابل ولدا يعمل فى الحانة .

على شارع صغير ·· ويجب علينـــا أن ندخل الى تلك الغرفة ·· ان لدى بعض المفاتيح القديمة ، كما سأحصل على بعض المفاتيح الأخرى من بيت خالتى ·· وعلينا الدخول الى تلك الغرفة فى أول ليلة مظلمة ·· انى أعتقد أن ريد جو يسكن فى تلك الغرفة ·· لقد قال انه يريد أن يذهب الى القرية ليفعل شيئا ·· وأعتقد أن هذه الغرفة هى المكان الذى كان يقصده ·· واذا رأيتـــه يا هك ·· فعليك أن تتبعه ·· !

ولعدة ليال تالية ، أخذ الولدان يراقبان الباب الخلفى لتلك الغرفة الذى يقع فى الشارع الصغير ·· ولكنهما لم يشـاهدا أحـدا يدخل الى الغرفة أو يخرج منها ·· واستمرت المراقبة حتى ليلة يوم الخميس ··

فى تلك الليلة ، أحضر الولدان معهما مصباحا ·· وانتظر هك فى ركن مظلم ، بينما تقدم توم نحو الباب الخلفى للغرفة ·· وبعد فترة انتظار طويلة عصف فيها القلق بقلب هك ، شاهد توم مقبلا وهو يجرى بسرعة كبيرة ، وعندما وصل توم الى المكان الذى كان يقف فيه هك منتظرا ·· صاح توم :

ـ اجرى ·· اجرى !!

وفى الحال ، انطلق هك يجرى فى أعقابه ·· وظلا يجريان معا حتى وصلا الى بيت قديم يقع على مشارف القرية ··

وقال توم هامسا لاهثا :

ـ لقد حدث شيء مخيف يا هك ·· لقد كانت المفاتيح تحدث صوتا عاليا وأنا أحاول ادخالها فى قفل الباب ·· ومع ذلك فلم يصلح أى مفتاح منها فى فتح القفل ·· وأصابنى الخوف ·· ولكنى لاحظت أن الباب لم يكن مغلقا بالقفل ·· بل يمكن فتحه بدفعة بسيطة الى داخل الغرفة ·· فتحت الباب ودخلت الغرفة ·· تصـــور !

فقال هك متلهفا :

ـ هاه ·· وماذا حدث بعد ذلك يا توم ·· ماذا رأيت ·· ؟!

ــ تصور يا هك ٠٠ لقد دست على يد ريد جو .. !

ــ لا ٠٠ !!

ــ نعم ٠٠ لقد دست على يده ٠٠ فقد كان راقدا على الأرض ومستغرقا فى النوم ٠٠ وكانت ذراعـاه ممدودتين عن آخرهما على الأرض ٠٠ ورأيت كأسا ٠٠ ومجموعة كبيرة من الزجاجات ٠٠ !

فهمس هك :

ــ اذن ٠٠ لو كان ريد جو نائما حتى الآن ٠٠ فان باستطاعتنا الدخول الى الغرفة لنحصل على صندوق الكنز ٠٠ !

ــ اذا كنت تريد الحصول على الصندوق ٠٠ فاذهب أنت وحدك ٠٠ أما أنا فلا أريد أن أذهب الى تلك الغرفة مرة أخرى !

فقال هك وقد ازداد قلقا :

ــ أعتقد انك على صواب ٠٠ !

وقال توم عندئذ :

ـ اننا لا يمكن أن نفعل شيئا مادام ريد جو فى تلك الغرفة ·· يجب أن نبدأ العمل عندما يخرج ريد جو من الغرفة لأى سبب ·· من الضرورى أنه سيخرج فى وقت ما ·· وهنا ·· نستطيع الدخول الى الغرفة لنحصل على الصندوق ··

وقال هك بعد أن اقتنع :

ـ سأقوم بمراقبة الشارع الصغير ·· ومراقبة الباب الخلفى لتلك الغرفة ·· ولكن عليك أنت القيام بالدخول الى الغرفة واحضار الصندوق ·· !

وقال توم فى النهاية :

ـ موافق ·· سأتولى احضار الصندوق بنفسى ·· وعليك الآن أن تقوم بمراقبة الباب والشارع فى كل ليلة ·· وعندما تحتاجنى ·· فتعال الى بيت خالتى ·· وقف بالخارج تحت نافذة غرفتى ·· واصدر من فمك صوتا عاليا يشبه مواء قطة كبيرة ·· وسوف أسمعك ·· وألحق بك ·· !

الفصل الثاني والعشرون

هكلبرى فين يؤدى واجبه ٠٠!

عادت بيكى تاتشر الى القرية بعد قضاء الاجازة ٠٠ ونسى توم حكاية ريد جو تماما ٠٠ بعد أن أخذ يلعب مع بيكى العابا كثيرة ٠٠ وعندما قامت مسز تاتشر أم بيكى بتحديد موعد للنزهة الخلـوية التى اقترحتها بيكى اثناء السنة الدراسية ، وافق توم أن يشترك فى تلك النزهة ٠٠

وفى الليل ، لم يسمع توم مواء لأية قطة ٠٠ وهو الاشارة السرية التى اتفق عليها مع هك ٠٠ وظل توم مستيقظا لفترة طويلة دون أن يسمع شيئا ٠٠

وفى الصباح الباكر ، تجمع كل الاولاد والبنات المشتركين فى النزهة الخلوية عند بيت بيــكى .. وقالت مسز تاتشر تنصح ابنتها :

ـ انه مشوار طويل ومتعب يا بيكى .. لذلك يمكنك قضاء الليل عنــد احدى صديقات الأسرة .. وعودى غدا بعد أن تكونى قد استرحت ... !

فقالت بيكى تطمئن أمها :

ـ سأقضى الليل فى بيت سوزان هاربر .. !

واخيرا .. بدأ الأولاد والبنات يتجهون نحــو القارب الذى ينتظرهم على شاطىء النهر .. وكان توم وبيكى يسيران معا ..

فقال لها توم :

ـ لا تذهبى الى بيت سوزان هاربر .. سنذهب معا الى بيت مسز دوجلاس .. انها سيدة عطــوفة وتحبنا كثيرا ..

وترددت بيكى واخذت تفكر فى ذلك ..

وقالت :

ـ وماذا ستقول أمي لو علمت بذلك ..

وقال توم يطمئنها :

ـ وكيف ستعرف أمك .. ؟!

كانت بيكى لا تحب أن تقوم بعمل يغضب أمها .. ولكن توم أخذ يحثها ويغريها .. وفى النهاية وافقت على أن تذهب معه الى بيت مسز دوجلاس الذى يقع أعلى التل ..

وهنا تذكر توم صديقه هك ،

فقال فى سره :

ربما سيذهب هك الى بيت خالتي ويعطي اشارة مواء القطة .. ولكنه لن يجدني هناك .. هل يجب على أن أعود لأقضى الليل فى بيت خالتى .. ؟!

ولكن توم فضل البقاء مع بيكى لمشاركتها فى تلك النزهة الخلوية ..



وعندما وصل القـارب الى أطراف الغـابة ، نزل كل الأولاد والبنات ، وأخذوا يتجولون بين الاشجار ويتسلقون صخور التل ٠٠ الى أن حـــل بهم التعب والارهاق ٠٠ فتجمعوا مرة اخرى ٠٠ وأخذوا يلتهمون كميات كبيرة من الطعام ٠٠

وبعد ذلك توجهوا جميعا نحو الكهـــف الكبير الذى يقع داخل التل ٠٠ وكانت فتحة الكهف الكبرى تقع فى مكان مرتفع على جانب التل ٠٠ وكان الكهف نفسه باردا ومظلما ٠٠

ودخل الجميع الى الممر الرئيسى بداخل الكهف ٠٠ وكان العديد من الممرات الضـيقة المظلمة تقع على يمين ويسار الممر الرئيسى ٠٠ قليلون فقط يعرفون بعض هذه الممرات الجانبية ٠٠ ولكن لا أحد يمكنه أن يقول انه يعرف هذه الممرات كلها ٠٠ فقد كانت كثيرة جدا ٠٠ ولا يعرف توم عنها أكثر مما يعرفه الآخرون ٠

وقسم الأولاد والبنات انفسهم الى مجموعات ٠٠ واخذوا يتجولون بمرح داخل الكهف الكبير ، وسلل

بعضهم الى الممرات الجانبية والى الكهوف الصغيرة الداخلية ‥ واستمرت الجولة وقتا طويلا ‥ ولكنهم كانوا سعداء يضحكون عندما تجمعوا فى النهاية عند مدخل الكهف ‥ وكانت ملابسهم قد اتسخت ومع ذلك فقد كانوا فرحين جدا ‥

وكان القارب ينتظرهم ‥ وأوشك ظلام الليل أن يحل ‥

وعندما وصل القارب الى شاطىء القرية ‥ كان هك آنئذ واقفا فى الشارع الصغير لمراقبة الباب الخلفى للغرفة ‥ وفى الساعة الحادية عشرة ليلا ، انطفأت كل أنوار الفندق ‥ ولكن شيئا لم يحدث ، وفكر هك فى أن ينام قليلا ‥

ولكنه سمع شيئا مثل صرير باب يفتح ‥ وبالفعل كان الباب الخلفى للغرفة يفتح بهدوء ثم اغلق بهدوء ٠ وفى الحال اختبأ هك ليرى ما يحدث‥

خرج من الغرفة رجلان ‥ وكان أحدهما يحمل

صندوق الكنز .. ترى أين سيذهبان به .. وليس هناك الآن وقت كاف للذهاب الى توم لابلاغه بذلك .. اذن .. فقد أصبح هك مسئولا وحده عن متابعة الرجلين .. حتى لا يهربا بالكنز الى مصير مجهول ..

وسار الرجلان مسافة طويلة بمحاذاة الشاطىء .. ثم انعطفا الى ممر ضيق يؤدى الى أعلى تل كارديف .. حيث يوجد البيت الذى يعيش فيه رجل من ويلز اسمه مستر جونس ..

ولكن الرجلين لم يتوقفا عند بيت مستر جونس وواصلا الصعود الى اعلى التل .. وظل هك يراقبهما بعناية ..

وكان الظلام شديدا فى تلك الليلة .. لذلك فقد هك أثر الرجلين ولم يعد يرى أين أختفيا .. فوقف فى مكانه يتصنت لعله يسمع شيئا ..

وفجأة كح أحد الرجلين كحة بسيطة ولكنها أدخلت الرعب الى قلب هك .. فقد كان الرجل على

مسافة أربعة اقدام فقط ٠٠ ومع ذلك فقد تماسك هك ولم يصرخ فزعا ٠٠ بل وعرف الآن اين يقف الرجلان ٠٠ لقد كانا قريبين تماما من بيت مسز دوجلاس الذى يقع بأعلى التل ٠٠

وبعد فترة وجيزة ، سمع هك صوت ريد جـو وهو يقول فى غضب :

ـ يبدو أن عندها بعض الضيوف ٠٠ فالانوار مازالت مضاءة ٠٠ !

فقال الرجل الآخر :

ـ نعم ٠٠ يبدو ان لديها ضـيوفا ٠٠ ولـن تستطيع أن تفعل شيئا هذه الليلة ٠٠ عليك ان تدع المرأة فى حالها ٠٠ وانس الموضوع !

فقال ريد جو على الفور :

ـ أنساه ! ٠٠ كيف انساه ؟! ٠٠ انا لن أضيع فرصة مثل هذه أبدا ٠٠ أنا لا أريد اموالها ولن اسرق منها شـيئا ٠٠ ولكن زوجها تسبب فى ادخالى الى

السجن ‥ نعم أدخلني دوجلاس الى السجن ولن أنسى ذلك أبدا ‥ ولابد أن انتقم ‥ كنت أريد أن أقتل دوجلاس بعد خروجي من السجن ‥ ولكنى عرفت انه مات ‥ مات قبل أن انتقم منه ‥ وها هي فرصتي الآن لانتقم من أرملته ‥ سوف أشوه جمالها وامزق وجهها ‥ وسوف أقطع أذنيها أيضا ‥ ويجب عليك أن تساعدني في ذلك ‥ والا فسوف اقتلك !

وعندئذ قال الرجل الآخر :

ـ مادمت مصرا على الهجوم على تلك المرأة ‥ فلتفعل ذلك فورا وبسرعة ‥ لماذا تنتظر ‥ ؟!

فأجاب ريد جو :

ـ لن نستطيع فعل ذلك الآن ‥ وعلينا أن ننتظر حتى تنطفىء الأنوار ‥

وبعد أن سمع هك هذا الحديث المخيف ‥ قرر أن يفعل شيئا ، وبدأ يتحرك ببطء وحذر ‥ ولكن احدى قطع الاخشاب انكسرت تحت قدمه ،

واحدثت صوتا واضحا فى سكون الليل ، فتسمر هك فى مكانه بعد أن أوشك قلبه أن يتوقف عن النبض . ولكن لم تظهر اية علامة تدل على أن الرجلين قد اهتما بذلك .. وعاود هك السير ببطء وحذر الى أن ابتعد عن الرجلين بمسافة معقولة ، فبدأ يجرى بسرعة الى أن وصل الى بيت مستر جونس ، وأخذ يطرق الباب ..

وفتح الرجل العجوز الباب ليرى من الطارق ، وكان ولداه الكبيران يقفان بجانبه ..

وسأل الرجل :

ـ ماذا فى الأمر .. ومن أنت ؟!

ـ أنا هكلبرى فين .. دعنى ادخل اذا سمحت .. اريد ان اخبرك بشيء هام .. !

ـ هكلبرى فين .. انا لا أحب هذا الاسم .. ولكن ما رأيكم يا أولاد .. هل نسمح له بالدخول .. يبدو ان هناك شيئا جعله مضطربا بهذا الشكل ..

وبعد ثلاث دقائق ، خرج الرجل العجوز وولداه من البيت واتجهوا الى الممر الصاعد لأعلى التل ·· وكان كل منهم يحمل فى يده بندقية ·· ولم يذهب هك معهم ·· بل اختبأ خلف صخرة ضخمة واخذ ينتظر··

وفجأة دوت طلقة بندقية ·· أعقبتها صرخة عالية ·· ولم يطق هك احتمال مثل هذا الموقف ·· فانطلق يعدو هابطا الى سفح التل ·· وابتعد عن المكان كله ·· !

الفصل الثالث والعشرون

بداية البحث ..

وفى صباح يوم الأحد ، ذهب هك الى بيت مستر جونس .. **فاستقبله الرجل العجوز مرحبا :**

ـ **أهلا أهلا** .. ادخل يا بنى .. لقد أصبح اسم هكلبرى فين محبوبا لدى الآن .. أنى أرحب بك فى كل وقت ..

ودخل هك الى بيت مستر جونس .. وقدموا اليه افطارا طيبا . وبعد أن انتهى من تناول الافطار **قال متسائلا :**

ـ ماذا حدث بأعلى التل .. فى تلك الليلة ..؟

ولكن مستر جونس قال في هدوء :

ـ ان وجهك يبدو شاحبا ٠٠ لا بد انك تعبان ٠٠ أليس كذلـك ٠٠ يجب ان ترقـد على السرير لأنك مريض ٠٠ اننـا لم نقتلهما يا هك ٠٠ لقد عثرنا على مكانهمـا بسـهولة ولكننا كنا سيئى الحظ ٠٠ لقد اكتشف الرجلان اننا كنا قادمين نحوهما ٠٠ لذلك فقد لاذا بالفرار ٠٠ فأطلقنا عليهما النار ٠٠ وعندما تتبعناهما أطلقا علينا النار ٠٠ وبعد ذلك لم نعثر لهما على أثر وفشلنا تماما فى القبض عليهما ٠٠ لذلك فقد ذهبنا الى القرية فيما بعد ٠٠ وجمعنا بعض الرجـال ليشتركوا معنا فى البحث عن هذين الرجلين ٠٠ والآن هل يمكنك أن تصف لى هذين الرجلين ٠٠ ؟!

فقال هك على الفور :

ـ نعم ٠٠ فاحدهمـا هو الرجل الأسـبانى ٠٠ وانت تعرفه بلا شك ٠٠ أما الرجل الثانى فقد كان يرتدى ملابس مخيفة ٠٠ !

وقال الرجل العجوز :

ـ كفى .. لقد عرفت هذين الرجلين .. ولكن لماذا كنت تتتبعهما .. ؟!

أجاب هك :

ـ فى تلك الليلة .. كنت لا أرغب فى النوم.. وأخذت أتمشى قليلا .. وعندئذ شاهدت هذين الرجلين .. وكان أحدهما يحمل صندوقا .. فظننت انهما قد سرقا شيئا .. فتتبعتهما دون أن يلحظا ذلك .. وصعدا الى أعلى التل حتى وصلا الى بيت مسز دوجلاس .. وعندئذ سمعت الأسبانى يقول أنه يريد أن يمزق وجهها .. !

ـ ولكن الأسبانى أخرس لا يتكلم .. وانت تعرف ذلك بلا شك .. !!

آه .. لقد وقع هك فى غلطة كان يريد أن يتجنبها .. فلم يكن يريد أن يقول أى شىء عن ريد جو .. ولكن الرجل العجوز كان ينظر فى وجهه ويحس بانفعالاته ..

لذلك فقد قال يطمئنه :

ـ لا تخف من شيء يا بني ·· فأنا لن أؤذيك أبدا ·· هل كان الأسباني الأخرس يستطيع الكلام ·· أنت لا تريد أن تخبرني ·· ولكن هذا لا يهم ·· أكمل قصتك ·· !

نظر هك الى عيني الرجل العجوز الطيبتين ·· وشعر بالاطمئنان اليه ··

وصمم على أن يقول كل شيء ··

ـ هـــذا الاســباني الأخرس ·· هو ريد جر بنفسه !!

وعندئذ قفز الرجــل العجوز من مقعده وهب واقفا ، **وقال :**

ـ آه ·· لقد بدأت الآن أفهم الموضوع !

وبعد لحظـات حضرت مسز دوجـلاس الى بيت مستر جونس ·· وأخذ الرجل يحكي لها كل ما حدث وكل ما يعرفه عن قصة محاولة الأعتداء عليهـا ··

واندهشت مسز دوجلاس كثيرا ، وأخذت تشكر الرجل العجوز وولديه ، **وقالت :**

ـ لقد انقذتمونى بمساعدتكم العظيمة ·· تصور انى لم أكن أدرى شيئا عن هذا الموضوع ·· !

لم يشر مستر جونس الى الدور الذى أداه هك فى هذا الموضوع ·· لأن هك قد طلب منه أن يظل بعيدا عن هذا الموضـــوع ، واحترم الرجل العجوز رغبته ··

وحضر الناس مبكرين الى الكنيسة ·· وهناك تقابلت مسز تاتشر مع مسز سوزان هاربر ··

فقالت لها :

ـ هل ما زالت بيكى عندك فى البيت ·· ؟!

فقالت مسز هاربر مندهشة :

ـ بيكى ؟!

ـ نعم ·· فقد أخبرتنى بأنها ستقضى الليـــل عندك ··

ـ عندى أنا ؟! •• اني لم أرها منذ مدة •• !!

كان وقع المفاجأة شــديدا على مسز تاتشر •• فانهارت جالسة على أحد المقاعد •• وشحب لون وجهها وأبيض تماما •• وهنا وصلت الخالة بوللى وقالت ان توم قد فر من البيت ••

وتساءلت :

ـ هل هو لديك في بيتك يا مسز هاربر •• ؟!

فقالت مسز هاربر :

ـ لا ••

فتساءلت الخالة مرة اخرى :

ـ هل رأيت توم يا جو هاربر ؟

واجاب جو :

ـ لا •• لم أره منذ مدة ••

ـ ومتى رأيته آخر مرة ••

ولم يستطع جو ان يتذكر متى شاهد توم لآخر

مرة ·· وهكذا تبين للجميع أن توم وبيكى قد اختفيا ·· خصوصا بعد أن قيل انهما لم يعودا مع الأولاد والبنات الذين عادوا بالقارب الى القرية ·· وقال أحد الفتيان : ربما تاها بداخل الكهف ·· !

وقلقت مسز تاتشر واضطربت كثيرا ·· كما بدأت الخالة بوللى فى البكاء والنواح ·· وشعر كل أهالى القرية بالخوف على مصير الطفلين ·· وقرعت أجراس الكنيسة ·· ونسى الجميع حكاية القتال الذى دار بأعلى التل وقصة محاولة الاعتداء على مسز دوجلاس ·· وركب الرجال خيولهم ·· كما استعد القبطان بقاربه ·· وذهب القاضى تاتشر ـ والد بيكى ـ مع الرجال ليبحث عن ابنته ··

وهكذا انطلق نحو مائتى رجل فى الطريق المحاذى لشاطىء النهر ·· وكان القاضى تاتشر فى مقدمة الرجال ·· يقودهم جميعا فى الطريق الى الكهف ··

وبعد ان انطلق الرجال على هذا النحو ، أصبحت

القرية شبه خالية .. وظلت النساء منتظرات طوال الليل .. ولكن شيئا لم يحدث .. !

وفى الصباح الباكر ، وصلت رسالة من الرجال. « أرسلوا لنا مزيدا من الشموع ومزيدا من الطعام ! » .. وأوشكت مسز تاتشر أن تموت من شدة القلق وشدة الخوف على بيكى .. اذ لم تصلها من زوجها رسالة خاصة تتعلق ببيكى .. ولم تستطع مسز تاتشر ان تفعل شيئا سوى أن تنتظر ..

وعادت مسز دوجلاس مرة أخرى الى بيت مستر جونس .. فوجدت هك يرقد مريضا فى السرير .. ونظرا لأن الأطباء قد ذهبوا للاشتراك فى البحث مع الرجال الآخرين .. لذلك فقد اضطرت مسز دوجلاس ان تبقى بجوار هك المريض حيث يرقد .. ولم تخبره بأى شىء عن إختفاء توم وبيكى ..

وفى أثناء النهار عاد بعض الرجال من منطقة الكهف ، وأخبروا أهالى القرية بأن البحث مازال جاريا عن الطفلين .. وقالوا أيضا أن الكهف واسع جدا ،

وله أفرع وتشعبات كثيرة .. وانهم عثروا على اسمين مكتوبين على جدران الكهف : توم وبيكي .. لقد كتب الطفلان اسميهما بدخان الشموع .. ولكن المكان الذى عثر فيه على هذين الاسمين لم يكن بجوار المدخل .. وانما كان فى أعماق الكهف من الداخل ..

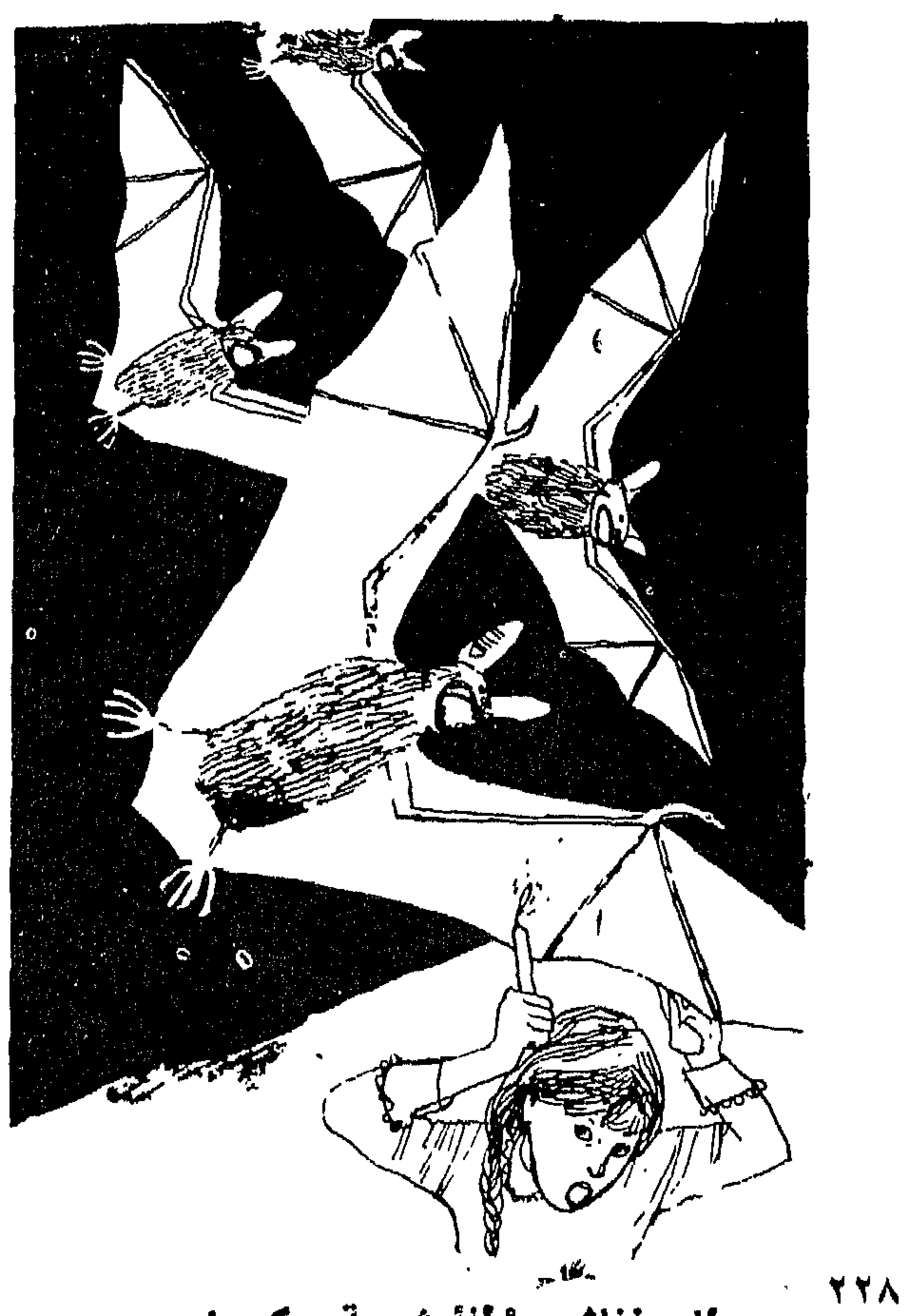
ومرت ثلاثة ايام وثلاث ليال طوال .. وكان الوقت يمر ببطء شديد .. وران الحزن على جميع أهالى القرية حيث لم يعد أحد يريد أن يعمل شيئا .. وظلت مسز دوجلاس ملازمة لفراش هك المريض .. كما ظل الرجال يبحثون فى جميع ارجاء الكهف .. ولكنهم لم يعثروا على توم ولا بيكى .. !

الفصل الرابع والعشرون

فى الكهف المظلم ..!

كان توم وبيكى يتجولان فى داخل الكهف معا .. وكانا يتحدثان طول الوقت .. وكان كل منهما يحمل شمعة فى يده .. وكتبا اسميهما عدة مرات على صخور الكهف مستعملين دخان الشموع ..

وفى أثنــاء التجــول .. عثرا على مجرى صغير تنساب فيه مياه جارية .. ولاحظ توم ان هناك ممرا جانبيا يقع خلف المجرى .. فدخلا اليه ليستكشفاه .. وكان الممر منحدرا هابطا الى أعماق الكهف فى بطن التل .. والحقيقة أن توم كان يرسم علامات معينة على الصخور بدخان الشمعة .



طار خفاش وأطفأ شمعة بيكى !

وكان يقول لبيكي في كل مرة يرسم علامة :

ـ ستساعدنا هذه العلامات لنعرف طريق العوده ‥ !

وظلا يتجولان في أعماق الكهف حتى وصلا الى مكان تملأه الخفافيش ! ‥ والخفافيش طبعا لا تحب الضوء ‥ وأغضبها كثيرا الضوء المنبعث من الشمعتين ‥ فطار خفاش وأطفأ الشمعة التى كانت تمسكها بيكى ‥ واضطرب توم وهو يحاول أن يحافظ على ضوء شمعته ‥ وأمسك بيكى من يدها ، وقادها الى ممر آخر ‥

ولكن الخفافيش ظلت تطاردهما لتطفىء الشمعة الأخرى ‥ فاضطرا الى اللجوء الى ممر ثالث ‥ ومع ذلك فقد ظلت الخفافيش تواصل المطاردة ‥ فدخلا الى ممر رابع وخامس وسادس الى أن اختفت الخفافيش تماما ‥

وجلس توم وبيكى يلتقطان أنفاسهما المتقطعة من عناء تلك التجربة المخيفة ‥ وشعرا لأول مرة بمعنى كلمتى **الصمت العميق** ‥ !

وهنا قالت بيكى :

ـ لم نعد نسمع صوت الأولاد والبنات الآخرين منذ فترة طويلة ..

وقال توم :

ـ انهم الآن فوقنا .. ونحن تحتهم .. !

وبدأت بيكى تشعر بالقلق والخوف من هذا الصمت ، **فقالت لتوم :**

ـ يجب علينا أن نعود الآن .. هل تعرف الطريق يا توم .. ؟!

وقال توم بهدوء :

ـ نعم .. أعتقد ذلك .. ولكن هذه الخفافيش .. ماذا نعمل اذا أطفأت تلك الخفافيش شمعتينا .. ان علينا أن نبحث عن طريق آخر .. !

وبدآ يبحثان عن هذا الطريق الآخر .. وسارا مسافات طويلة داخل ممرات الكهف التى أصبحت تبدو بلا أول ولا آخر .

وازداد الصمت المطبق وهما يدخلان الى ممرات جديدة مجهولة ·· وحاول توم أن يتحدث بسعادة لكى يشجع بيكى ويشد أزرها ·· ولكنه فى حقيقة الأمر لم يكن سعيدا ·· لقد تاه داخل الكهف ·· وتأكد من ذلك تماما ·· وأصبح يدخل الى أى ممر ·· ولم يستطع ان يضع أية خطة ·· !

وتأكدت بيكى أيضا انها قد تاهت هى الأخرى ·· وسألته بقلق :

ـ ألا نستطيع أن نعود من نفس الطريق يا توم ·· ان فى امكاننا أن نجرى حتى نتجاوز المكان الذى توجد فيه الخفافيش ·· ؟!

ووقف توم يتصنت لحظة ·· ولكنه لم يسمع أى صوت ·· فصرخ عدة مرات ·· ولكنه لم يحصل على أية اجابة ·· بل ترددت هذه الصرخات فى صدى غريب عبر ممرات الكهف ·· وازداد خوف بيكى أكثر وأكثر ·· وبدأت تبكى وهى تقول :

ـ أوه يا توم ·· لن نخرج من هنا أبدا ·· أوه ·· لماذا ابتعدنا عن الأولاد والبنات الآخرين ·· ؟!

وجلسا سويا على احدى الصخور •• ووضع توم ذراعه حول كتفيها •• وشعرت بيكى انها فقدت كل أمل •• كما شعر توم بأنه قد فقد الأمل أيضا ••

وقاما يتجولان مرة أخرى •• بلا خطة ولا هدف •• وأطفأ توم شمعة بيكى واحتفظ بشمعته وحدها •• وفهمت بيكى من ذلك أن توم يريد أن يقتصد كل قطعة شمع معهما للمستقبل المجهول المظلم •• ولحسن الحظ فان توم كان يحتفظ بشمعة أخرى فى جيبه •• وعندما شعرا بالتعب من كثرة التجول ، جلسا يستريحان مرة أخرى ••

وفى هذه المرة أخذا يتحدثان عن البيت •• ويتذكران أصدقاءهما •• ويتذكران كيف كان كل منهما ينام فى سرير مريح •• ويتذكران أيضا الضوء الساطع الذى يملأ الدنيا خارج هذا الكهف •• ونامت بيكى لفترة قصيرة ، ثم استيقظت •• وواصلا التجول من جديد ••

وظلا يتجولان حتى وصلا الى مكان تجرى فيه

المياه ·· فقررا أن يبقيا بقربه ·· وعثر توم على كعكة في جيبه ·· فقسمها الى قطعتين وأعطى بيكى قطعة وقال لها :

ـ هذه الكعكة كانت من الطعام الذى أكلناه في النزهة الخلوية ··

وأكلت بيكي قطعتها في صمت ·· بينما أكل توم جزءا من قطعتـه واحتفظ بالجزء البـاقى ·· وقال لبيكي بلطف شديد :

ـ هذه أيضا آخر قطعة شمع موجودة لدينا ·· هذه هى الحقيقة يا بيكى !

وكان توم لا يريد أن يخبر بيكى بتلك الحقيقة ولكنه فضل أن يقول لها كل شيء ·· فقال مواسيا :

ـ علينا أن نبقى هنا قرب الماء ·· اننا على الأقل نستطيع أن نشرب !

وبعد فترة من الصمت قالت بيكى :

ـ أعتقد يا توم انهم سيبحثون عنا ·· !

ـ هذا شيء أكيد ·· لا بد أنهم سيبحثون عنا ··

ـ ربما هم يبحثون عنا الآن يا توم ··

فقال توم :

ـ ضروري ·· ان امك ستعرف ·· عندما يعود الأولاد والبنات بدونك !

ولكنهما تـذكرا أن أم بيـكى كانت لا تتوقع عودتهما مع الأولاد والبنات الذين اشتركوا فى النزهة الخلوية ·· لأن الأم كانت تعرف ان بيكى ستقضى الليلة فى بيت مسز سوزان هاربر ··

وظلا صامتين لفترة طويلة وهما يراقبان آخـر ضوء للشمعة وهو يخبو ويتراقص ·· وأخذ يضعف رويدا رويدا الى أن أصبح صغيرا جدا ·· ثم انطفأ ! ·· وساد الظلام تماما فى جميع الأرجاء ·· وحل صمت رهيب يطبق على المكان كله ·· وناما لفترة لا يعرفان ان كانت طويلة أم قصيرة ·· ولكنهما عندما استيقظا، كان الظلام مازال دامسا ··

ومرت الساعات فى بطء شديد ·· وبدآ يشعران بالجوع مرة أخرى ·· وهنا أخرج توم الجزء الذى استبقاه من نصيبه ، واقتسمه مع بيكى ، ولكن لم يشعر أى منهما بالشبع ، فقد كانت قطعـــة الكعك صغيرة جدا ·· وفجأة سمعا أصواتا تأتى من بعيد !!

وصاح توم فرحا :

ـ ها هم يا بيكى ·· انهم قادمون !!

واتجه الاثنان سويا صوب الأصوات وهما يشعران بسعادة غامرة ·· ولكنهما لم يستطيعا الجرى بسرعة بسبب الظلام الشديد ·· وبعد فترة قصـيرة اختفت الأصوات تماما وعاد الكهف الى صمته المطبق ··

وأخذا يتلمسان طريق العودة الى مكانهما السابق جوار الميـاه الجارية ·· وهناك جلسا حزينين الى أن غلبهما النعاس مرة أخرى فناما ··

وعندما استيقظا كان الجوع يقرصهما بشدة ·· وعندئذ قرر توم أن يعمل أى شىء بدلا من الجلوس هكذا ·· وعثر معه على قطعة من الدوبارة ، فربطها الى

حجر واستخدمها كدليل له فى التجول الى داخل الممر الفرعي ·· انه يريد أن يستكشفه لعل وعسى ·· وفى نهاية هذا الممر كانت هناك صخرة كبيرة ··

وفجأة ، شاهد توم يدا تمتد الى أعلى الصخرة ، وكانت تمسك بشمعة مضاءة ، فصاح توم من شدة الفرح ·· وهنا ظهر الرجل الذى كان يحمل الشمعة ·· **لقد كان ريد جو بنفسه ·· !!**

تجمد توم فى مكانه من شدة الخوف والفزع ·· وفى الوقت نفسه ، انطلق ريد جو هاربا بعد أن انتابه الفزع هو الآخر عندما شاهد شبحا داخل ظلام الكهف ··

وعاد توم الى المكان الذى ترك فيه بيكي ·· وكان يرتعش ·· وجلس صامتا الى أن هدأ تماما ·· ثم بدأ ينعس ، فنام ·· ونامت بيكى أيضا ··

ولكن عندما استيقظا هذه المرة ، كانا يوشكان على الموت جوعا ·· ولم يعد معهما الآن أى طعام أو أى

شئ يؤكل .. ولم يعرف أى منهما ما اذا كان اليوم هو يوم الأربعاء أو يوم الخميس ..

ومع ذلك فقد قرر توم أن يستكشف ممرا فرعيا آخر .. واضطرت بيكى الى الموافقة ، **وقالت مستسلمة فى صوت ضعيف واهن :**

- اذهب .. ولكنى أرجوك أن تعود الى .. فاذا كنا سنموت .. فلنمت مع بعضنا سويا .. !!

فقبلها توم .. وأخذ يتكلم بشجاعة .. وأمسك بالدوبارة المتصلة بالحجر .. وبدأ يستكشف الممر الجديد زاحفا على يديه وركبتيه .. وكان جائعا وقلقا وخائفا .. وكان أيضا على يقين تام بأن نهايتهما قد اقتربت .. !

الفصل الخامس والعشرون

ودقت الأجراس فى منتصف الليل ..!

وبعد ظهر يوم الثلاثاء .. كانت القرية كلها لم تزل حزينة .. وفقد معظم الرجال أى أمل فى العثور على توم وبيكى ، فغادروا الكهف وعادوا الى القرية .. ولكن القاضى تاتشر ومعه قلة من الرجال ظلوا عند الكهف يكررون المحاولة مرات ومرات .. واشتد المرض على مسز تاتشر ، أما الخالة بوللى فقد لزمت بيتها تنتظر والحزن يعصف بقلبها ..

ولكن عند منتصف الليل ، دقت الأجراس بفرح فاستيقظ جميع النـــاس .. وظلت دقات الأجراس تتردد فى جميع أنحـــاء القرية حتى ملأت الجـو كله

بفرح وبهجة عارمة ·· وأخذ الناس يصيحون : لقد عثروا عليهما ·· لقد عثروا على توم وبيكى ·· !!

وكانت هناك عربة مكشوفة تتهادى عبر الشارع يجرها بعض الرجال الذين يصيحون بفرح ·· وكان توم وبيكى يجلسان فى تلك العربة ··

وفى لحظات قليلة أضيئت كل أنوار القرية ·· ولم يعد هناك شخص واحد يرغب فى النوم ·· وظلت العربة تتهادى فى الشارع حتى وصلت الى بيت القاضى تاتشر ·· وهناك وقفت ونزل منها توم وبيكى ··

وأقبل الناس من كل صوب نحو بيت القاضى ليروا الطفلين يقبلونهما ويهنئانهما بسلامة العودة ·· كانت ليلة حافلة بالمشاعر ··

وأخذ توم يشرح كل شىء ·· وحكى للناس حكاية الخفافيش وكل المتاعب التى صادفاها فى الكهف المظلم ، **وقال مستطردا :**

ـ لقد كانت معنا كعكة ·· واخترنا مكان اقامتنا

قرب مياه جارية بداخل الكهف .. وبعد أن كدنا نموت من الجوع .. تركت بيكى فى مكانها وذهبت لأستكشف المكان لعلى أجد طريقا للخروج .. واستكشفت ممرين .. وكنت أستخدم دوبارة طويلة لتدلنى على طريق العودة فى الظلام الى المكان الذى تركت فيه بيكى .. وفى الممر الثانى انتهت الدوبارة قبل أن أصل الى شىء .. وكدت أعود خائبا .. لولا انى رأيت على البعد ثقبا صغيرا جدا يتسلل منه خيط من الضوء يشبه ضوء النهار .. فتركت الدوبارة وذهبت الى الضوء .. وأدليت رأسى من خلال فتحة صغيرة ..

وعندئذ رأيت نهر المسيسبى العظم .. كم كان رائعا .. وعدت على الفور الى بيكى وأخبرتها بما رأيت فلم تصدقنى طبعا .. ولكنى أخذتها من يدها الى حيث رأت الضوء بنفسها ..

وهكذا تسلل توم وبيكى من خلال الفتحة الى خارج الكهف .. وجلسا على صخرة يتطلعان الى النهر الكبير .. وهما يشعران بقمة السعادة ..

وعلى شاطىء النهر ، شاهدا رجلين يركبان قاربا ، فنادا عليهما .. وعندما حكيا للرجلين قصتهما لم يصدق الرجلان ذلك ، وصاحا قائلين :

ـ انتما الآن على بعد نحو خمسة أميال من فتحة الكهف .. فهل هذا معقول .. ؟!

وصحب الرجلان توم وبيكى الى أحد البيوت .. وقدما اليهما وجبة طيبة من الطعام .. وبعد أن استراح توم وبيكى قليلا .. أحضر الرجلان عربة صغيرة .. وعادا بهما الى القرية ..

وذهب بعض الرجال الى منطقة الكهف ليخبروا القاضى تاتشر ومن معه بأن بيكى وتوم قد عادا سالمين الى القرية .. وعندما وصل القاضى تاتشر الى البيت كاد يطير من الفرح وهو يعانق ابنته .. ولم يكن هناك أحد من الحاضرين يدانيه سعادة وبهجة !

وعندما علم توم بأن هك مريض .. ذهب فورا ليحادثه .. وعلم توم أيضا بشىء آخر .. فقد قيل له انهم عثروا على جثة الرجل زميل ريد جو غارقة فى

النهر ٠٠ وقد ظن الناس انه كان يحاول الهرب فغرق ٠٠ ولكن أحدا لا يعرف شيئا صحيحا عن هذا الرجل الغامض ٠٠

وبعد عـدة أيام **قال القـاضى تاتشر لتوم خبرا أفزعه :**

ـ لن يتمكن أحد بعد الآن من الدخول الى الكهف ٠٠ لقد أغلقناه تماما بباب من الحديد سددنا به الفتحة الرئيسية ٠٠ ولن نسمح لأحد بدخول الكهف بعد ذلك أبدا يا توم ٠٠ لأنه أصبح غير آمن ٠٠

وهنا شحب وجه توم وقال للقاضى :

ـ ولكن ياسيدى ٠ ان ريد جو كان بداخل الكهف ٠٠ !!

فصاح القاضى مندهشا :

ـ ماذا تقول ٠٠ هل كان بداخل الكهف حقا ٠٠ اذن يجب أن نخرجه من الكهف فورا ٠٠ !

وانطلقت بعض القوارب على سـطح النهـر فى

طريقها الى منطقة الكهف مرة أخرى ·· وكان توم سوير يركب فى نفس القارب الذى يركبه القاضى ·· وعندما وصلوا الى الكهف ، أسرعوا بفتح البـاب الحديدى ·· وعلى الفور شاهدوا منظرا مخيفا ··

كان ريد جو يرقد ميتا بجوار الباب ·· وسكينه ملقاة على الأرض بجانبه · **وقال القاضى :**

ـ مسكين هذا الرجل ·· لقد كان يريد أن يخرج من هذا الكهف فلم يستطع ·· لقد انكسرت سكينه وهو يحاول أن يستخدمها فى الحفر ·· أنظروا الى السكين فهى مكسورة ·· ماذا تصنع مثل هذه السكين الصغيرة فى باب ضخم كهذا ·· ؟!

وقام الرجال بدفن ريد جو قرب بوابة الكهف ·· ولم يشعر هك بالحزن عليه ·· ولم يشعر توم أيضا بالحزن على هذا الرجل ··

وقال هك ليخبر توم بموضوع الصندوق :

ـ لقد ظللت أتتبعه يا توم فى كل مكان ··

ولكن النقود لم تكن موجودة فى غرفته فى الفندق ٠٠!

وعندئذ قال توم :

ـ أعرف ذلك ٠٠ فالنقود مدفونة ومخبأة فى الكهف يا هك !

ـ فى الكهف ٠٠ ؟!!

ـ نعم ٠٠ هل ستصحبنى فى البحث عنها والعثور عليها ٠٠ ؟!

ـ طبعا يا توم ٠٠ طبعا ٠٠ فلم أعد مريضا ٠٠ وصحتى الآن جيدة ٠٠ !

ـ اذن ٠٠ فنحن نحتاج الى بعض حقائب صغيرة ٠٠ وبعض الدوبار ٠٠ ويجب أن نأخذ معنا كمية من الطعام وأعواد الثقاب ٠٠

وبعد الظهر أخذ توم صديقه هك الى شاطىء النهر ، واستقلا قاربا أبحرا به نحو منطقة الكهف ٠ وعلى بعد نحو خمسة أميال من البوابة الرئيسية للكهف، تسلل الصديقان من خلال الفتحة الصغيرة التى اكتشفها

توم ، والتى تختفى وراء شجيرة كثيفة الأغصان ..
وقال توم :

ـ من هذه الفتحة هربنا .. أنا وبيكى !

وأخذا يسيران الى داخل الممر الفرعى .. وكان توم يحمل فى يده شمعة مضاءة . **وفجأة رفع الشمعة الى أعلى وقال :**

ـ أنظر ياهك .. هل ترى هذه الصخرة .. وهل ترى الصليب المرسوم عليها بالدخان الأسود .. لقد رأيت ريد جو هنا بجوار تلك الصخرة وكان يحمل شمعة .. وقد فر هاربا عندما رآنى واعتقد انى شبح .. والآن يا هك .. هل تذكر جملة « تحت الصليب » .. التى قالها ريد جو وهو يتحدث مع زميله فى تلك الليلة .. هل تذكر المكان رقم (٢) .. ها هو المكان رقم (٢) يا هك .. ها هو أمامك .. !

ولكن هك بدأ يخاف ، **وقال لتوم :**

ـ هيا نخرج من هنا يا توم .. ان روح ريد جو

لا بد أن تكون موجودة هنا ٠٠ فالأرواح والأشباح توجد دائما بجانب النقود المدفونة ٠٠ !

ولكن توم أصبح لا يعبأ بالأرواح أو الأشباح ٠٠ وسحب هك من يده واحدا يسيران فى الممر الهابط حتى وصلا الى المكان الذى توجد به الصخرة الكبيرة ، وكانت الصخرة تتوسط مكانا تتفرع منه أربع ممرات جانبيه ٠ فأخذا يفحصان الممرات ويستكشفان المكان كله ، ولكنهما لم يصلا الى ايه نتيجه ٠٠ ولم يعثرا اطلاقا على الصندوق المملوء بالعملات الذهبية ٠٠ فجلسا على الأرض حزينين يفكران فى طريقة أخرى ٠٠ وفجأة قال توم :

ــ أنظر يا هك ٠٠ هنـــاك آثار أقدام قرب الصخرة ، ولا توجد مثل هذه الآثار فى أى مكان آخر ٠٠ فلماذا ؟ ٠ كما أن هناك آثارا لشمعة كانت تحترق ٠٠ أنظر ٠٠ لابد أن النقود مدفونة تحت هذه الصخرة ٠٠ سأحضر هنا لأتبين الأمر ٠٠ !

وما أن بدأ توم فى الحفر حتى عثرا على بعض

ألواح خشبية تغطى نفقا ضيقا تحتها ·· ودخل توم وهك الى هذا النفق ·· ولم يكن هذا بالأمر السهل ·· وأخذا يسيران ببطء وحذر حتى وصلا الى نهاية النفق ·· وهناك عثرا على الصندوق ·· **وصاح توم من شدة الفرح :**

ـ الكنز ! ·· ها هو الكنز !!

وأمسك هك بحفنة من العملات الذهبية القديمة **وصاح بدوره :**

ـ لقد أصبحنا أغنياء يا توم ·· لقد أصبحنا أغنياء ·· ولكننا لن نستطيع أن نحمل هذا الصندوق عبر النفق الضيق ··

وهنا قال توم :

ـ لا ·· سوف نعبىء النقود الذهب فى الحقائب التى أحضرناها معنا ·· !!

وبعد أن انتهيا من ملء الحقائب بالذهب ·· حملا كنزهما وخرجا من الكهف ·· وذهبا الى القارب ·· وأبحرا عائدين الى القرية ·

وعندما وصلا الى القرية تقابلا مع مستر جونس
.. وصحبهما الرجل العجوز الى بيت مسز دوجلاس
حيث كانت السيدة قد أعدت حفلا كبيرا حضره كل
الناس المهمين فى القرية ..

وكانت السيدة تتوقع حضور توم وهك الى هذه
الحفلة .. ولكنها عندما شاهدت ملابسهما المتسخة ..
أعطت لهما ملابس نظيفة .. **وصاحت فيهما قائلة :**

ـ هيا .. عليكما بالاستحمام جيدا .. وارتديا
هذه الملابس النظيفة .. سوف ننتظركما .. وعندما
تصبحان مستعدين .. فلتحضرا للانضمام الى الحفلة
فورا .. !

الفصل السادس والعشرون

الذهب الأصفر ..!

كان هك لا يحب الحفلات ، ولا يحب مقابلة الناس والتعرف اليهم .. فقال لتوم :

ـ توم .. فى استطاعتنا أن نهرب من خلال هذه النافذة .. انى لا أريد النزول لمقابلة هؤلاء الناس المجتمعين فى الحفلة ..

وفى هذه اللحظة فتح سيد باب الحجرة ودخل لمقابلة أخيه توم .. وقال :

ـ هاللو .. أنظر الى ملابسك يا توم .. اليست قذرة .. ان خالتى ظلت تنتظرك طوال فترة بعد الظهر .. أين كنت .. ؟!

فقال توم :

ـ لن أخبرك ·· وأخبرنا أنت أولا ·· ما الذى يحـــدث هنا ·· ولمـــاذا تقيم مسز دوجلاس هذه الحفلة ·· ؟!

اجاب سيد :

ـ انها تحب أن تقيم مثل هذه الحفلات ·· ولكنها تقيم هذه الحفلة للاحتفال بالرجل العجوز ·· لأنه قدم اليها مساعدة ما ·· ولكن ما اسم هذا الرجل ·· آه اسمه مستر جونس أليس كذلك ·· ويقـول مستر جونس ان لديه مفاجأة سيعرضها فى هذا الحفل ·· انه يقول أنه سيعلن سرا ·· ولكن هذا السر لم يعد الآن سرا ·· فكل شخص يعرفه ··

وتساءل توم :

ـ وما هو هذا السر يا سيد ·· ؟

ـ هو سر يتعلق بهك ·· وسيقول مستر جونس ان هك هو الذى تتبع ريد جو عندما وصل الى بيت

مسز دوجلاس ليرتكب جريمته ·· ويعتقد مستر جونس أن الناس لا يعرفون هذا السر ·· ولكنهم كلهم يعرفون الدور الذى أداه هك لانقاذ مسز دوجلاس ·· يبدو أن أحدا أخبرهم بهذا السر من قبل ··

وهنا قال توم :

ــ ومن الذى أخبر الناس بهذا السر يا سيد ؟! ·· انه أنت ·· أنت دائما تحب أن تفشى أسرار الآخرين ·· خذ ·· !!

وضرب توم رأس سيد بلكمة قوية ·· ثم ركله عندما لحقه وهو يجرى تجاه الباب ·· وقال :

ــ والآن ·· فلتذهب الى الخالة لتخبرها بما تعرفه عنى أيضا ·· !

وعندما وصلت الحفلة الى ذروتها ·· وقف الرجل العجوز مستر جونس ، وطلب من الحاضرين الصمت ليستمعوا اليه ·· وبدأ يقص على الحاضرين الدور الشجاع الذى أداه هك ·· !

وبالرغـم من ذلك فلم يكن هك سـعيدا بكل هذا ·· لقد كان هك مرتديا ملابس نظيفة ·· وهو يكره هذه الملابس مثل كراهيته للسم ··

وعندمـا انتهى مستر جونس من قص حكايـة هك ·· تظاهر الحاضرون بالدهشة ·· وكأنهم يعرفون سر هـذه الحـكاية لأول مرة ·· وهنـا تقدمت مسز دوجلاس الى هك وشكرته بحرارة ··

وقالت له أمام كل الحاضرين :

ـ من الآن ستعيش معى فى هـذا المنزل ·· وسوف ألحقك بالمدرسة وسأتكفل بكل مصاريفك ·· وعندما تكبر سأمنحك مالا لتبدأ عملا محترما ··

وهنا صاح توم :

ـ هك لم يعد في حاجة الى النقود ·· انه الآن غنى جدا ·· اوه ·· لا تضحكوا ·· ان هك لديه أموال كثيرة ·· وسأريكم ذلك الآن ·· !

وجرى توم ليحضر حقيبة من حقائبهما ·· هو

وهك ٠٠ التى خبآهـا بخارج البيت ٠٠ وأمام كل الحاضرين فتح توم الحقيبة ٠٠ وأفرغ على المائدة كل ما فيها من عملات ذهبية ٠٠ ووسط دهشة الحاضرين ذهب توم مرة أخرى وأحضر جميع الحقائب الأخرى وأفرغ العملات الذهبية التى تكومت على المـائدة فى كومة كبيرة ٠٠

وقال توم للحاضرين :

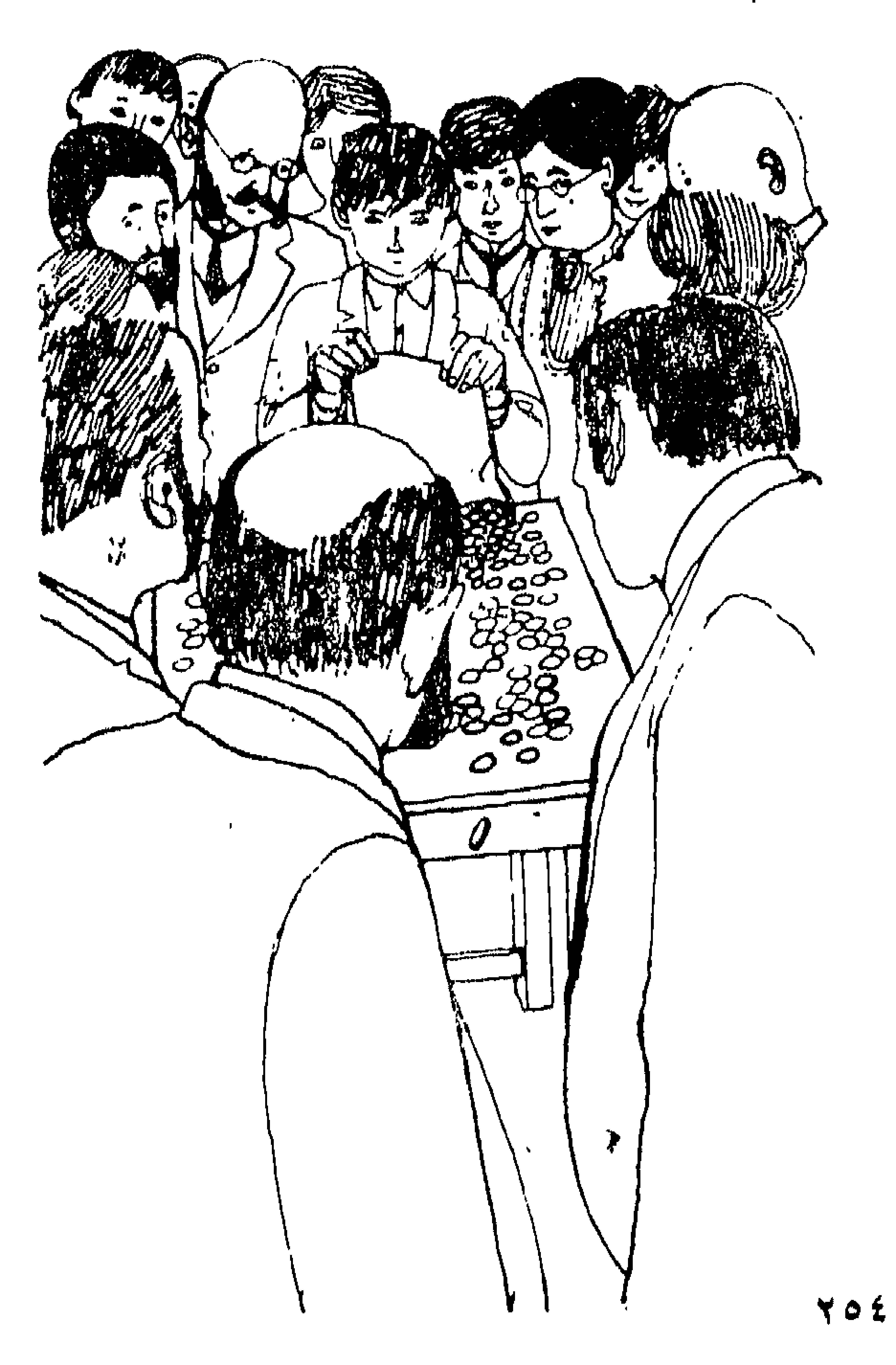
ـ ان هك يمتلك نصف كل هذه الأموال ٠٠ أما النصف الثانى فهو ملكى أنا ٠٠

وعقدت الدهشة ألسنة الجميع ٠٠ وساد الصمت لحظات لانشغال العيون بالانبهار بكومة الذهب الأصفر ٠٠

ولكن أحد الحاضرين قال :

ـ اشرح لنا الأمر يا توم ٠٠ !

وقام توم بشرح الموضوع من أوله الى آخره ، واستغرق ذلك وقتا طويلا ٠٠ وكان مستر جونس مستغرقا فى الاستماع بصمت وعندما انتهت الحكاية ٠٠



وأفرغ أمامهم الحقائب المملوءة بالذهب !

قال للحاضرين :

ـ كنت أظن انى سأعلن لكم عن مفاجأة ·· ولكن هذه هى المفاجأة الكبرى ·· !!

الفصل السابع والعشرون

قوة المال ..!

كانت العملات الذهبية التى عثر عليها توم وهك حديث كل الناس فى سانت بطرسبورج .. لقد كانت فى حقيقة الأمر ثروة طائلة وكبيرة جدا .. ولم يكن هناك أحد يشعر بالحسد تجاه توم أو تجاه هك .. ولكن جميع الناس الآخرين أصبحوا يحفرون فى مختلف الأنحاء لعلهم يعثرون على صناديق مملوءة بالعملات الذهبية !

وكثيرون من هؤلاء الناس ، ظلوا يحفرون ويبحثون لمدة طويلة .. ولكنهم لم يعثروا على شىء .. !

وقد سببت هذه الثروة الطائلة بعض المتاعب

بالنسبة لكل من توم وهك ·· فقـد كانا لا يفهمان أعمال البنوك وعالم المال ·· ولهذا فقد تولت مسز دوجلاس مســاعدة هك ·· كما تولى القاضي تاتشر مساعدة توم ·· وقام هؤلاء الناس الطيبون بشرح الكثير من الأمور لكل من الولدين الثريين ··

وأوضح القاضي تاتشر الأمر قائلا لهما :

- ان الرجال الأثرياء لا يحتفظون بأموالهم فى الصـناديق القديمة ·· انهم يستثمرون نقـودهم ·· والنقود تلد المزيد من النقود ··

وأخـذ توم وهـك بهذه النصحية ·· ووضعا نقودهما فى عديد من الشركات الناجحة ·· وأصبح الولدان سعيدين تماما بهذا العمل الجـديد ·· فقد صـارا من الأغنياء ·· وصـارت النقود تصل اليهما وتتدفق عليهما بانتظام ··

وكان القاضي تاتشر معجبا بتوم وأصـبح يحبه كثيرا ··

ـ لقد أنقذ توم حياة ابنتى ·· لقد اعتنى بها وحافظ عليهـا عندما هاجمتها الخفافيش ·· وأعطاها جزءا من الكعكة عندما شعرت بالجوع ·· وابقاها قرب المياه الجارية فى الكهف لتشرب كلما أرادت ·· وفوق كل هذه فهو وحده الذى اكتشف مكان الخروج من الكهف ·· نعم ·· انه بالتأكيد صاحب الفضل فى انقاذ ابنتى ·· !

وهنا قامت بيكى باخبار والدها عن حكاية كتاب المستر دوبينز ··

وقالت معترفة :

ـ لقد مزقت صفحتين من الكتاب بدون قصد ·· فتحمل توم مسئولية ذلك الخطأ ·· وقال لمستر دوبينز أنه هو الذى مزق الكتاب ·· فعاقبه مستر دوبينز على ذلك وضربه ضربا شديدا ·· لقد كذب من أجلى !

فقال ابوها :

ـ هــذه كذبة بيضــاء نبيلة ·· ان توم رفيق

وكان يقول دائما :

لطيف ·· وربما سيصبح فى يوم من الأيام جنديا عظيما ·· وسأساعده دائما اذا احتاج الى النقود ··

وهكذا عاش توم حياة سعيدة ·· ولكن هك لم يكن سعيدا مثله ·· فقد كان عليه أن يرتدى ملابس نظيفة جيدة ·· وأن يسرح شعره ·· وأن يذهب الى الحفلات ·· وأن يقابل أصنافا وأشكالا مختلفة من الناس ·· وكل هذه الأشياء يكرهها هك من صميم قلبه ··

والأدهى من ذلك انه أصبح ينام الآن على سرير نظيف ·· ويتناول طعامه بالشوكة والسكين ·· وأسف هك على حاله ·· وأصابه الحزن وهو يتذكر حياته الماضية السعيدة ·· !!

وتحمل هك حياته الجديدة لمدة ثلاثة أسابيع ·· وفى يوم ما ·· اختفى هك ·· خرج من بيت مسز دوجلاس ولم يعد ·· ولم يستطع أحد أن يعثر عليه فى أى مكان ··

وفى اليوم الثالث لاختفاء هك ، طرأت فى ذهن توم فكرة مفاجئة .. فذهب فورا الى بيت قديم مهجور يقع بأطراف القرية .. وكان يعلم أن هك كان يأوى الى هذا البيت فى الماضى .. وعندما وصل توم الى هذا البيت ، وجد هك جالسا على الأرض يدخن البايب مستمتعا .. وكان هك يبدو سعيدا ومبتسما ..

فقال له توم :

ـ يجب ان تعود يا هك الى بيت مسز دوجلاس .. أنك الآن ولد غنى يا هك .. ولا يصح ان تعيش فى البيوت المهجورة !

وظهر الحزن على وجه هك وهو يستمع الى هذه الكلمات ..

وقال لتوم :

ـ لا تحدثنى فى هذا الموضوع يا توم .. انى لا أستطيع أن أتحمل الحياة فى بيت مثل بيت مسز دوجلاس .. انها حياة فظيعة .. لقد كانت مسز دوجلاس توقظنى كل يوم فى نفس الميعاد .. وكانت

تجعلنى أغسل وجهى ·· وأسرح شعرى ·· وتلبسنى ملابس نظيفة لا أستطيع أن أتنفس وأنا مرتديها ·· !

فقال توم :

ـ ان جميع الناس يفعلون ذلك يا هك ·· انها أشياء عادية ··

ـ لا يا توم ·· فأنا لست مثل الناس الآخرين·· لقد كانت تمنعنى من التدخين ·· وكانت تريد أن تلحقنى بالمدرسة ·· تصور يا توم ·· أنا ·· أنا أذهب الى المدرسة ·· لا ·· لا ·· انى سعيد تماما بأسلوب حياتى القديمة ·· !

قال توم يائسا :

ـ اذن ·· فأنت تصر على أن تظل غير مهذب يا هك ·· انى آسف لذلك ·· آسف جدا · لأنك اذا فعلت ذلك فلن تستطيع الاشتراك معنا ·· فأنا انوى تكوين عصابة من الرجال المهذبين ·· وسنقوم بالهجوم على الناس لنحصل على نقودهم ·· وسنصبح أفضل وأحسن من القراصنة الذين كانوا يسرقون

أموال الناس فى الماضى باستخدام طرق خشنة غير مهذبة ·· لأننا سنقوم بنفس العمل وسنصل الى نفس النتيجة ولكن باستخدام وسائل وطرق مهذبة ·· ولذلك فلن يشترك فى عصابتنا أى رجال غير مهذبين ·· ولن يمكنك الاشتراك معنا اذا انت تركت بيت مسز دوجلاس ·· لأننا اذا سمحنا باشتراك أى شخص غير مهذب معنا فماذا سيظن الناس ·· سيقولون أن رجال توم سوير خشنون وغير مهذبين ·· وأنا لا يمكن أن أقبل ذلك يا هك ·· والآن عليك أن تختار ·· اما ان تعود الى بيت مسز دوجلاس ·· واما أن تظل مبعدا عن الاشتراك فى عصابتنا ·· !!

وعبرت مسحة من الحزن على وجه هك ··

وهو يقول :

ـ لقد كنت أعتبرك أعز أصدقائى يا توم ·· فهل ستتخلى عنى ولا تشركنى معك ·· هل ستفعل ذلك حقا ·· ؟!

فقال توم بهدوء :

ـ أنا لا اريد أن أتخلى عنك يا هك ‥ ولكنى أخبرتك بكل الحقائق ‥

وجلس هك صامتا لفترة طويلة ‥

واخيرا تكلم :

ـ سأعود الى البيت لمدة شهر على سبيل التجربة ‥ وبعد ذلك سأتخذ قرارى ‥ ولكنك ستسمح لى بالاشتراك معك ‥ يا توم ‥ اليس كذلك ‥ ؟!

ـ نعم سأسمح باشتراكك معنا ‥ هيا ‥ !!

وعندئذ قال هك بلطف :

ـ سيكون فى استطاعتى ان أخرج من البيت فى بعض الأحيان لأدخن ‥ وسأصبح عضوا فى جماعة مهذبة ‥ وهذا أفضل بكثير من أولئك القراصنة ‥ !!

فهرس

الموضوع	الصفحة
المـؤلـف..	٩
الفصل الأول: متاعب دائمة	١٥
الفصل الثانى: توم يدهش الخالة بوللى	٢٦
الفصل الثالث: فتاة فى الحديقة	٣٧
الفصل الرابع: يوم الاثنين بدأ سيئا	٤٥
الفصل الخامس: مشاجرة	٦١
الفصل السادس: فى ساحة المقابر	٨٣
الفصل السابع: قلب توم يتحطم	٨٣
الفصل الثامن: توم يتكلم أثناء نومه	٨٩
الفصل التاسع: قاتل الألم.	٩٦
الفصل العاشر: القراصنة	١٠٤
الفصل الحادى عشر: زيارة غير عادية	١١٠
الفصل الثانى عشر: القراصنة يشعرون بالوحدة	١١٨

الفصل الثالث عشر: العاصفة ١٢٥
الفصل الرابع عشر: الجنازات ١٣٠
الفصل الخامس عشر: الغيوران ١٤٢
الفصل السادس عشر: توم يتصرف بنبل ١٥١
الفصل السابع عشر: نهاية العام الدراسى ١٦٠
الفصل الثامن عشر: محاكمة موف بوتر ١٦٧
الفصل التاسع عشر: تحت الشجرة الميتة ١٨٠
الفصل العشرون: فى بيت الأشباح ١٨٧
الفصل الحادى والعشرون: المكان رقم (٢) ١٩٩
الفصل الثانى والعشرون: هكلبرى فين يؤدى واجبه ... ٢٠٧
الفصل الثالث والعشرون: بداية البحث ٢١٨
الفصل الرابع والعشرون: فى الكهف المظلم ٢٢٧
الفصل الخامس والعشرون: ودقت الأجراس فى منتصف الليل ٢٣٨
الفصل السادس والعشرون: الذهب الأصفر ٢٤٩
الفصل السابع والعشرون: قوة المال ٢٥٦

٩٨/٧٩٦٧

I.S.B.N 977-01-5711-2

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

كان توم سوير يعيش مع خالته فى قرية صغيرة تقع على نهر المسيسبى. وكان ولداً ذكياً ولكنه كان لا يحب الذهاب إلى المدرسة ويفضل قضاء الوقت فى السباحة.. وعمل المغامرات وكان توم سوير يحلم بالحصول على كنز.. فهل تحقق حلمه، وماذا حدث..؟